مجمعيات
ندوات
(6)

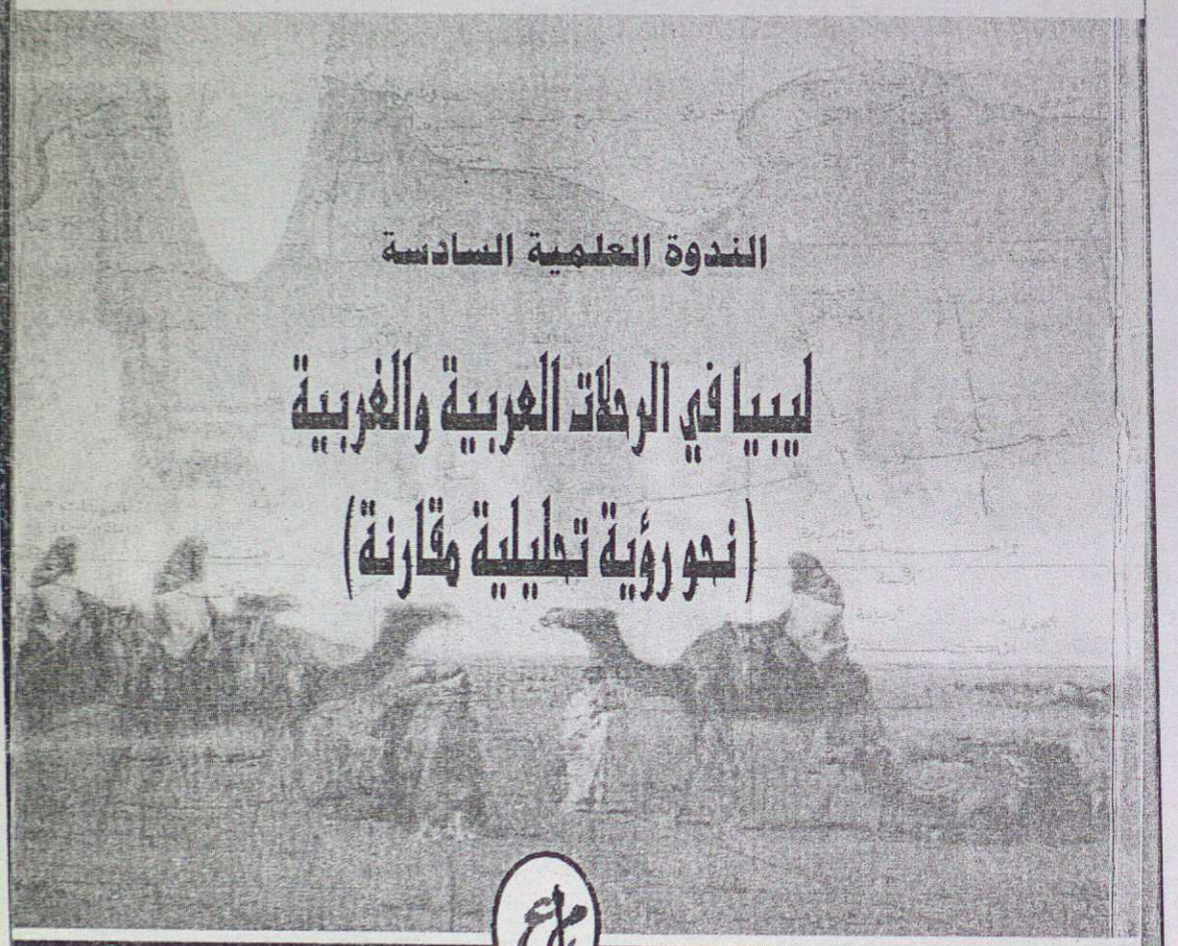

النـدوة العلمية السادسة

ليبيا في الرحلات العربية والغربية

(نحو رؤية تحليلية مقارنة)

مجمع اللغة العربية - طرابلس

الندوة العلمية السادسة

ليبيا في الرحلات العربية والغربية

(نحو رؤية تحليلية مقارنة)

اسم الكتاب: ليبيا في الرحلات العربية والغربية

(نحو رؤية تحليلية مقارنة)

الناشر : مجمع اللغة العربية

سنة النشر :2009/4/28

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا

هاتف : 9097074-9096379-9090509

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني :

Net-lib-libya@hotmail.com

ردمك :ISBN 978-9959-9575-6-6

رقم الإيداع : 297 /2009

تنضيد وتنفيذ : جمعة الترهوني

القسم الفني بالمجمع

طباعة

دار المنار للطباعة والنشر

051 2621 725

تقديم

تُعدُّ كتب الرحلات في إطارها الفني صنفاً من صنوف الكتابة الأدبية "أدب الرحلات" وفي إطارها المعرفي أو مضمونها الثقافي مادة ومصدراً من مصادر البحث والتحليل والفهم لجوانب متعددة من حياة المجتمعات التي تتناولها وبالتالي فهي ميدان بحث للدارسين .

تتناول هذه الندوة كتب الرحلات من حيث لغتها وأساليب كتابتها وكونها مصدراً لدراسة المجتمع الليبي وخاصة في الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية من خلال تحليل محتوى المعلومات التي دونها الرحالون الذين زاروا ليبيا من عرب وأجانب ومروا بمناطقها وكتبوا عنها.

ويأمل المجمع أن يجد الأساتذة الباحثون وغيرهم من المعنيين والمتابعين لمثل هذه الفعاليات البحثية/الثقافية بعض ما يتطلعون إليه من الأسئلة الجادة والآفاق الدراسية الرحبة التي ينبغي أن تتصدى لطرحها ومناقشتها أية ندوة علمية جادة تتوخى العمق والجدة والإضافة ، مساهمة في إرساء تقاليد رفيعة مسؤولة للبحث العلمي الرصين في بلادنا العزيزة .

المحتوى

الجلسة الأولى

▪ د . شعبان عوض محمد العبيدي

– لغة التجاني في رحلته .... 9 - 16

▪ د . الصيد محمد أبو ديب

– اللغة والأسلوب في رحلة التجاني 17- 52

▪ د . فايز صبحي تركي

– حركة اللغة في مِلْء العَيبةِ 53-176

▪ د . محمد مصطفى بالحاج

– البناء اللغوي والفني في الرحلات العربية القديمة 177-222

الجلسة الثانية

▪ د . أحمد عتمان نصر

– بنداروس في قوريني بليبيا 223-268

▪ د . خميس علي محمد العبيدي

– قورينا في ملاحظات ماتويزيو 269-276

▪ د . عماد الدين غانم

– الرحلات الاستكشافية الأوربية إلى إفريقيا 277-312

الجلسة الثالثة

▪ د . عبدالحميد عبدالله الهرامة

– الرحلات المغربية عبر ليبيا 313-332

▪ أ . عبدالكريم عبدالله بالقاسم

– الراني إلى ما في رحلة التجاني 333-386

▪ أ . عمار محمد جحيدر

– تراجم علماء طرابلس وصلحائها 387-538

▪ د . عمر خليفة بن إدريس

▪ الكتاتيب وأثرها في نشر الوعي الدّيني والمعرفي 539-558

الجلسة الرابعة

▪ د . جمعة محمود الزريقي

– لقاء الرحالة العبدري مع قاضي طرابلس 559-578

▪ د . حبيب وداعة الحسناوي

– الرحلات العربية والأوربية عبر الأراضي الليبية 579-608

▪ د . الحسن الشاهدي

– مشاهدات الناصري في ليبيا.. 609-618

▪ أ . علي الصادق حُسنين

– يوميات قافلة طرابلسية إلى وداي 619-656

▪ د . محمد مسعود جبران

– فن الرحلات في الأدب الليبي الحديث 657-710

المصادر والمراجع

أولا – المصادر :

رحلة التجانى ، أبو محمد عبد الله بن أحمد التجانى ، قدم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس ، 1981

ثانيا- المراجع :

1-ابن بطوطة، فؤاد بدوي ، سلسلة مذاهب وشخصيات ، العدد 47 ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ،1967

2-رحلة العبدري ، أبو عبدالله محمد العبدري الحجى ، حققه وقدم له وعلق عليه : محمد الفاسي ،منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ، الرباط ، المغرب ، 1968

3-أمير مغربي في طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقى – د. عبدالهادي التازي ، جامعة محمد الخامس ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، سلسة الرحلات ، د . ط . ر. ت .

4- ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ، اختيار وتصنيف : د إحسان عباس و.د.محمد يوسف نجم ،الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، مطابع دار صادر ، بيروت ، 1968 .

5- حكاية مدينة،خليفة التليسى،الدار العربية للكتاب،ليبيا –تونس 1985

6- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، اغناطيوس كراتشكوفسكي ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1987 .

7- رحلة ابن بطوطة ، دار الشرق العربي ، بيروت ، د . ت .

8- ابن بطوطة ورحلته ، د . شاكر خصباك ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، د . ت .

9- الشعر العـــربي المعاصـــر- قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د . عزالدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ط5 ، 1988 .

حَرَكَةُ اللُّغَةِ في رِحْلَةِ مِلءْ العَيْبَةِ بِمَا جُمِعَ بِطُولِ الغَيْبَةِ لابنِ رُشَيدٍ الفِهْرِيِّ السَّبْتِيِّ

• د . فايز صبحي عبدالسلام تركي

مُقدِّمة

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ؛ ليكون خليفةً له في هذه الأرض ، ومنذ أنْ خُلِق احتاج إلى التعبير عمَّا بداخله ، والإبانة عن مراده ، فكانت حاجته إلى الكلام ؛ ومن ثَمَّ كانت اللغة منهجًا للتفكير والتعبير، فبدأ الإنسان يفكِّر في أمْر هذه الظاهرة ، وحاول أنْ يفسِّر قوانينها ؛ ومن ثَمَّ توالت الملاحظات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، المبثوثة في كتب اللغويين والنحاة وكتب الطبقات والتراجم وكتب الرحلات .

إنَّ أهمية كتب الرحلات التي قام بها المغاربة وغيرهم من المشارقة والأوربيين ليست خافية على أحد ، وخاصة القديمة منها ، فهي تشغل مكاناً مرموقًا في الثقافة العربية ، ممّا مكّنها من أنْ تكون من أهم مصادر المعرفة علماً وثقافة ، فقد تضافرت دواعٍ وأسبابٌ مختلفةٌ ، حضّت الناس على الرحلة ، ويسّرت أمرها ، فكثرت الرحلات ، وتنوعت بتنوع حوافزها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وراج أدب الرحلات . وممّا لاشك فيه أنَّ صفحات هذه الرحلات- على تعدد أغراضها- عرضت كثيرًا من الجوانب الهامة ، فيما يتصل بحياة الشعوب وطباعها وعاداتها ، وقدَّمت وثائقَ وشواهدَ حيةً لِمَا كانت عليه

الحضارة العربية في مختلف عصورها ، فهي ثروةٌ علميةٌ وتاريخيةٌ وجغرافيةٌ وأدبيةٌ في آنٍ واحد .

ولمّا كان ذلك كذلك ، فقد أخذ مجمع اللغة العربية بالجماهيرية العظمى على عاتقه مهمة الإسهام في كشْف مكنون هذه الرحلات ، من خلال ندوته السادسة ، المعنونة بـ(ليبيا في الرحلات العربية والغربية، نحو رؤيةٍ تحليليةٍ ومقارنة) ؛ من ثَمَّ أردت أنْ يكون لي إسهامٌ ، ببحثٍ متواضعٍ ، في إطار المحور الثالث من محاور هذه الندوة ، وهو لغة الرحّالة مقاربات ومقارنات ، فوقع اختياري على رحلة مِلْء العَيْبَةِ بما جُمِعَ بطُول الغَيْبة في الوِجْهة الوجيهة إلى الحرمين مكّة وطيبة – في الجزأين الثاني والخامس ، من الأجزاء الثلاثة المنشورة منها - لأبي عبدالله محمد بن عمر ابن رُشَيد الفِهْرِيّ السَبتيّ ، المتوفى 721 هـ ، بتحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة [1] .

فصاحب هذه الرّحلة محدّثٌ ، فقيهٌ ، لُغويٌّ ، أدبيٌّ ، عارفٌ بعلْم القراءات ، له من الكتب المطبوعة إفادة النَّصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح ، بتحقيق محقق (ملْء العيبة) و(السُّنن الأبين المورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن) بتحقيقه أيضًا ، وغير ذلك ، بالإضافة إلى مصنفاته اللغوية والأدبية ، غير المطبوعة ، نحو (إحكام التأسيس في أحكام التجنيس) ، والإضاءات والإنارات في البديع المسماة بإيراد المرتع لرائد التسجيع والترصيع)، و(وصل القوادم بالخوافي في

[1] تجدر الإشارة إلى أنْ من معاني كلمة الغيبة ـ بفتح العين - الكيس أو القرْبة ، وغير ذلك ممّا سجّلته المعاجم اللغوية ، وهنا أستثمر الفرصة لأشير إلى أنني لن أتعرض للحديث عن الأشخاص الذين أشار إليهم ابن رُشَيد في رحلته ؛ لأنْ ذلك من شأنه تضخيم البحث ، وهو ما تكفلت به كتب التراجم والطبقات .

ذِكر أمثلة القوافي) ،و(المختصر في العروض)،و(التقييدات على كتاب سيبويه) [1] .

وهنا لابد من الإحالة على قول محقق ملْء العيبة : " ليس من المبالغة إذا ادعينا أنَّ مِلْء العيبة يعتبر أنفس ما كتبه ابن رُشَيد ، وأفضل ما قيّده . وهو من جهةٍ ثانيةٍ يزهو على بقية الرحلات التي من جِنْسه ، مثل (رحلة التجيبي) و(تاج المفرق) للبلوي،و(الأفق المُشرق) لابن الطيب وغيرها "[2]

وبناءً على ذلك عزمت على أنْ يكون عنوان البحث " حَرَكَةُ اللُّغَةِ في رِحْلَةِ مِلْءِ العَيْبَةِ بِمَا جُمِعَ بطُولِ الغَيْبَةِ لابنِ رشيدِ الفِهْرِيِّ السَّبْتِيِّ " مُبتغيًا من ورائه بيان دور اللغة وفاعليتها ، والكشْف عن أسرار الدوال اللغوية في أسلوب ابن رُشَيد ، وما أشار إليه من أمورٍ لغوية ، فيما تعرّض له من نصوص ، سواءٌ بالتصريح أو التلميح ، وهو ما يدلُّ على وعي بحركة اللغة ودورها . هذا ، بالإضافة إلى التأكيد على الخروج من دائرة ترديد القوالب الجافة في تحليل النصوص ؛ ومن ثمّ بيان العلاقة بين التشكيلات اللغوية والمعنى ، من خلال أسلوب كاتب الرحلة أو من خلال ما عَرَض له من أمورٍ لغوية ، أي ربْط هذه التشكيلات بروح اللغة وأحوال المخلوقين وعاداتهم وظاهر أمرهم وموضوع جبلتهم ، وعدم القناعة بمجرد الأخذ والمحاكاة ؛ومن ثَمّ الحرص على الإضافة والتجديد، والإسهام في بناء الفكر الإنسانيّ ، بالنقد السديد والتمحيص والبحث ؛ من أجل جلاء النصِّ وفهمه وبيان حقيقته ، فالحقيقة بنت البحث – كما يُقال – ولا

[1] يُنظر في ذلك : الوافي بالوفيات 4 / 199 ، وأزهار الرياض 2 / 348 ، ومقدمة ملء العيبة للمحقق 2 / 23 – 24 ، 65 ، 67 .
[2] مِلْء العيبة 2 / 31 حيث مقدمة المحقق ، ويُنظر : الرحلات المغربية والأندلسية ص 115 - 116 .

يضيرها في شيءٍ أنْ تَقلّب الأمور على وجوهها المختلفة ، في إطارٍ من العلمية والمنهجية والموضوعية .

وبناء على هذا الفهم المتواضع انطلقت من عدة منطلقات – تحجيمًا للدراسة ؛ ومن ثَمَّ أحلت بالهامش على ما يمكن أنْ يُبحث ، ولم يتعرض له هذا البحث – فتمثّل لي البحث بعد المقدّمة مُقسمًا على تمهيدٍ وخمسة مباحث ، مستعينًا بآلات البحث التراثية والحديثة ؛ ومن ثَمَّ جاءت المباحث كما يلي :

المبحث الأوّل : ملامح الوعي الصرفيّ وعلاقته بالمعنى .

المبحث الثّاني : خصائص التراكيب .

المبحث الثّالث : قضايا المعجم والدلالة .

المبحث الرّابع : ملامح حُسْن السَّبْكِ والحَبْك من عدَمه .

المبحث الخامس : التّناص ودوره في التجلّي النَّصِّيّ .

وتُوِّج البحث بعد ذلك بخاتمةٍ ، تضمّنت أهم النتائج التي توصلت إليها، وما أردت من توصيات – بالإضافة إلى ما اكتنفته صفحات البحث على مدار التحليل – مُنْهيًا إيّاه بقائمة المصادر والمراجع .

وبعد ذلك أجِدُ لزامًا عليّ واعترافًا بالفضل لأهله أنْ أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى كلّ مَنْ قدّم إليّ مساعدةً ، بالرأي أو النصيحة أو التعليق ، في سبيل ظهور هذا البحث على صورته الكائنة ، وأخصُّ بالذِّكْر الأستاذ الدكتور محمد عبدالرازق عرفان ، أمين قسم اللغة العربية بكلية الآداب ،بأوباري ،بجامعة سبها ،والدكتور واصل حسن عبدالرحمن الأستاذ بالقسم نفسِه أيضًا .

تمهيد

ليس من هدف هذا البحث الترجمة لابن رُشيد ، فهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن عمر بن محمد بن رُشيد أبو عبد الله الفِهْريّ السبتيّ ، المولود سنة 657 هـ ، والمتوفى سنة 721 هـ ، أخذ العربية عن ابن أبي الرَّبيع ونظرائه ، واحتفل في صِغره بالأدبيات ، وبرع فيها ، وروى البخاريّ عن عبد العزيز الغافقيّ قراءةً من لَفظه ، وله مصنفات كثيرة – غير ما ذُكر بالمقدمة – نحو (تلخيص كتاب القوانين في النحو) ، و(حُكْم الاستعارة) ، وغير ذلك من الخُطب والقصائد النبوية والمقطعات البديعة ، وكان قد بحث سيبويه على الأستاذ أبي الحسين ابن أبي الربيع[1] . وليس من هدف هذا البحث التعريف بالرحلة في اللُّغة والاصطلاح ، والحديث عن دوافع الرِّحلة وأسبابها ، وكتُب الرحلات ، وأنواع الرحلات ومفهوم أدب الرحلات ، فذلك ما تكفّلت بعرْضِه كثيرٌ من الكتب[2].

لكن ما استهدفه هذا التمهيد هو الإشارة إلى أنَّ أدب الرِّحلة بدا واضحًا لدى ابن رُشَيد في رحلته ، وهو ما أسهم في تمكيننا من بَحْث حركة اللغة في مِلْء العَيْبة بما جُمِع بطول الغَيْبة في الوِجْهة الوجيهة إلى الحرمين مكّة وطيبة ، بالإضافة إلى تمثُّل أنَّ الحركة في الرِّحلة " ليست على المستوى البدنيّ فحسب ، وإنَّما يجب أنْ تشمل المستويات كافة،لابد أنْ تعمل جميع الحواس بطاقتها القصوى ،وأنْ تكون مُستَنفرةً ، وفي حالة يقظةٍ دائمة ؛

(1) يُنظر في ذلك : الوافي بالوفيات 4 / 199- 200 ، وأزهار الرياض 2 / 350 ، وبغية الوعاة 1 / 199 ، والرحلات المغربية والأندلسية ص 110 – 116 ، وابن رُشَيد الفهريّ ورحلته إلى المشرق ص 31 – 42 ، وغير ذلك ممّا ذكره محقق ملء العيبة من مصادر لترجمته في مقدمة تحقيقه 2 / 25 وما بعدها ، 2 / 21 – 24 .

(2) يُنظر في ذلك : الرّحلة في الأدب العربيّ حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص 21 – 48 .

حتى ينعكس ذلك على وصف الرِّحلة "[1]. وهو الأمر الذي يمكّننا من تصنيفه على أنَّه (أدب رحلة) يتتبع خط سَيْر الرِّحلة ، فالمعروف أنَّ " طريقة التدوين هي التي تصنِّف هذه النصوص بين الجغرافيا الوصفية والأدب الجغرافي وأدب الرِّحلة ، فإذا اختفت العناصر الأدبية والذاتية –أو ندرت – صُنِّف النَّصُّ على أنَّه جغرافيا وصفية . وإذا حاول الرَّحّال أنْ يوازن بين الموضوع والذات فإنَّ عمله يُصنَّف على أنَّه أدبٌ جغرافيٌّ . أمَّا إذا طغت العناصر الأدبية الذاتية فإنَّ عمله يُصنَّف على أنَّه (أدب رحلةٍ) يتتبع خط سَيْر الرِّحلة "[2] .

ولعلّه من المُفيد بمكان استدعاء قول القائل : " هنا يجب التأكيد على أنَّ الرَّحّال الذي دوّن وقائع رحلته ، كان يعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّه يكتب في الأدب بمعناه الواسع ، وهذا ما يجعل أي باحثٍ غير متقبِّلٍ لتجريد أي نصٍّ – سواءٌ أكانت مسحة جغرافية تسوده أم لا – لتجريده من كونه أدبًا "[3] . ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ أدب الرِّحلة يعتمد فيما يعتمد على أنَّ الرَّحّال "يستخدم النثر المُعبِّر عن ذات الرَّحّال ، والحامل لخصائصه دونما تكلُّفٍ أو إسراف ، مع المحافظة على بنيةٍ تكفُل تماسك العمل ووَحْدَتَه ، ليس فرضًا عليه أنْ يلتزم معمارًا بعينه – ففي أدب الرحلات سعةٌ ومرونةٌ قد لا تتوافران لغيره – بل له أنْ يختار معمارًا – ولا بأس في أنْ يكون مبتكرًا – ذا معالم واضحةٍ ، يكفُل تحقيق الترابط بين أجزاء العمل ، من لدن البداية وحتى النهاية ...ويهدف إلى التأثير في القارئ

(1) الرحلة في الأدب العربي ، ص 26 ، ويُنظر : أدب الرحلات ، ص 15 .
(2) السابق ، ص 35 .
(3) السابق ، ص 36 .

والتواصل معه ، حيث يستمتع بكلِّ ما فيه ، وتزداد ثقافته ومعارفه بطريقٍ غير مباشرٍ أو محسوس "[1] .

وفيما يتصل بالخصائص الفنية لمضمون الرِّحْلة أشير إلى أنَّ " أدب الرِّحلة وعاءٌ لكلِّ مضمون ، وهو لا يفرِّق بين مضمونٍ خسيسٍ وآخر شريف ، أو بين مضمونٍ مهمٍّ وآخر تافه . كلُّ مضمونٍ قابلٌ للتدوين ما دام قد قَبِله ذوق الرَّحّال ، واقتنع به ؛ وعليه يمكن القول بأنَّ مضمون الرِّحلة هو مضمون الحياة غير أنَّ طوابع مضمونيةً بعينها يكاد الرَّحّالون يجمعون عليها ، قد تستوفى جميعها في عملٍ واحد ، وقد يتناول بعضها دون بعض ، بينما يركِّز رحّالون على واحدٍ منها .

وهذه الطوابع هي :

1 – الطابع الموسوعيّ والمعرفيّ .
2 – الطابع الوثائقيّ .
3 – الطابع الكشفيّ .
4 – الطابع الفرديّ .
5 – الطابع الإنسانيّ .
6 – الطابع الشعبيّ .
7 – الطابع الجماليّ .
8 – الطابع النقديّ .
9 – الطابع الفكاهيّ "[2] .

وفيما يتصل بالخصائص المميزة في الرِّحلة أشير إلى أنَّه "يتحكَّم في الرِّحلة طريقة التدوين ، التي تؤدِّي بدورها إلى تكوين بنية . وطريقة

(1) السابق ، ص 40 – 41 .
(2) السابق ، ص 48 .

التدوين والبنية يحكمها الأسلوب أو اللغة . ودَرْس هذه العناصر الثلاثة – مرتّبة – قد يؤدي إلى الكَشْف عن بعض الخصائص المميزة لأدب الرِّحْلة من حيث شكله " [1] .ولمّا كانت بنية الرحلة من الأشياء المهمة فيها ، وأنّ هذه البنية يحكمها الأسلوب أو اللغة فإنّه يتحتم علينا بأنّ نبيح للرحّال " أنّ يستخدم كافة الوسائل الفنية التي تكفل التواصل بين الأثر والمتلقي ، والأمر متروكٌ لفطنته ، فله أنْ يقدّم – أو يؤخّرَ أحداثًا أو يُجزئ حدثًا ، أو يقدّم بعض – لا كل – الحدث ؛ اعتمادًا على فِطنة القارئ ، وثِقةً في ذكائه . كما يباح له استخدام عنصر التشويق ، وكذا عنصر الإيحاء والرمز ، يباح له ذلك كلُّه ما دام يساعد على تماسك البناء العام وتزيينه ، إلاّ إذا أدّى إلى نتيجة عكسيةٍ ، أو تعارض مع هدف الرّحّال من التدوين ؛ لذلك فإنّ التشويقَ الذي يَصل إلى حدّ الإثارة غير الهادفة ، والإيحاءَ الذي يصل إلى حدّ الرّمز المبهم مرفوضان "[2] .

ولمّا كان هدف الرحلات هو " الوصول إلى كُنه الإنسان و حقيقته ، ووضْعه في الكون ، وكان نجاح الكاتب مرهونًا بإيضاح هذا الجانب فإنّ " البناء المنطقيّ خير وسيلة لتحقيق الهدف ، وهذا البناء يبدأ من الوحدات الصغيرة المتمثّلة في الكلمة والعبارة والفقرة ، وينتهي إلى الروح العام المرفرف على العمل كلّه ، يشمله ، ويربط بين أجزائه ، ويسدُّ ثغراته، وعلى هذا تكون الجمل ذات نمطٍ خاص بالمؤلِّف ، بحيث نستشعر روح هذا المؤلِّف متضمَّنة فيها ، كما يَجب أنْ توحي هذه الجملة بالجو النفسيّ

[1] السابق ، ص 59 ، وهنا أشير إلى أنّه من الملاحظ لدى ابن رُشَيد – ممّا لم يتناوله هذا البحث ، وينوء بحثُه ؛ ومن ثَمّ يهيب بمَن يواصل المسيرة – شيوع استخدامه للأساليب النحوية ، نحو أسلوب القسم والشرط والتعجُّب وأفعل التفضيل والمدح والذم ، على نحو ما ورد في المواضع 5 / 11 ، 18 – 22 ، 26 ، 100 ، 104 .

[2] السابق ، ص 69 .

الذي تعبِّر عنه ، وكذا بطبيعة المكان "[1] . ولعلّ فيما يلي من مباحث ما يكشف عن حركة اللغة في رحلة مِلْء العَيْبة لابن رُشَيد .

المبحث الأوّل

ملامح الوعي الصرفيّ وعلاقته بالمعنى

سنعالج في هذا المبحث بعضًا من ملامح الوعي الصَّرفيّ التي تنبئ عن فاعلية اللغة والوعي بحركتها في رحلة ابن رُشَيد،من خلال ما يلي :

أولاً – ما يتّصل بالوزن الصَّرفيّ للكلمات .

ثانيًا – ما يتّصل بالتّصغير .

ثالثًا – ما يتّصل بالنّسب .

وبيان ذلك على النحو التالي[2] :

أولاً – ما يتّصل بالوزن الصَّرفيّ للكلمات :

يُعدُّ الوزن الصرفيُّ للكلمات من المباحث التي اهتم بها علماء الصرف، ويُعدُّ أيضًا من الظواهر التي طبعت الشروح اللغوية ، التي وضعها القدماء على النصوص الأدبية، وكتب الطبقات والتراجم وكتب الرحلات ؛ لذا كان الوزن الصرفيُّ للكلمات من الأمور التي تضمنها كتاب (مِلْء العَيْبة) ، وقبل العرض لِما جاء منها أشير إلى أنّه"بفضل هذا الميزان الصرفيّ أمكن استيعاب كلِّ الصيغ ، من أسماء وأفعال ، ولم يخرج على

[1] السابق ، ص 75 ، ويُنْظر به أيضًا ص75 – 80 .

[2] هناك أمورٌ صرفيةٌ في أسلوب ابن رُشَيد – غير ما سنذكره في هذا المبحث – كان من الممكن الوقوف أمامها ، لكن الخوف من تضخُّم البحث وضيقَ الوقت حالا دون ذلك ، نحو شُذوذ جَمْع شيخ على مشائخ ، كما في الموضع 2 / 368 وغيره ، ونحو جمْع إمام على أيِمةَ قِياسًا ، كما في الموضع 5 / 108 ، والاختيار والعدول في أبنيةَ المفردات ، وغير ذلك .

هذا التصنيف إلاّ الكلمات الدخيلة والأدوات والضمائر والحروف التي تستعصي على هذا الميزان "[1] .

أمّا عن ملاحظ الوزن الصرفيّ ، فمنها ما أشار إليه صدد حديثه عن (ينبع) في إطار حديثه عن (أبي الحسن التِجاني)،قال:" ومن حديث محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم:(أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صلّى في مسجد ينبُع) . ثُمّ سرنا إلى أنْ وافينا المُغَيِّرة يوم الإربعاء الثامن لمحرم ، عند الضحاء ، وبها ما يُحتفر في أحساء . وضبط هذا الاسم مُفَعِّلة بفتح الغين ، من التغيير ، ولم نجده في الأسماء المذكورة القديمة "[2] .

فابن رُشَيد يرى أنّ للتشكيل الصرفيّ أهميته في النصوص ، ومن بين أدواته بيان الوزن الصرفيّ لبعض الكلمات ، ولا سيّما التي قد يوقِع عدمُ بيان وزنها ؛ ومن ثَمّ ضبطها في لَبْس ؛ ولذلك أشار في نصّه هذا إلى أنّ المكان المُسمّى (المُغَيِّرة) على وزن (مُفَعِّلة) بفتح الغين ، مشيرًا إلى أنّ اشتقاقه من التغيير ؛ ومن ثَمّ فهو اسم فاعلٍ من الفعل غير الثلاثي (غيّر) ، فجاء على وزن مضارعه ، وإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومةً ، وكَسْر ما قبل آخرة .

ثانيًا – ما يتّصل بالتّصغير :

يُعدُّ التصغير واحدًا من موضوعات علِم الصرف ، التي تخصُّ الاسم المتمكّن ، فإذا صُغِّر الاسم المتمكّن " ضُمّ صدره ، وفُتِح ثانيه ، وأُلحقَ

(1) أصول تراثية في علم اللغة ، ص 204 .
(2) ملء العَيبة 5 / 279 ، ويُنظر : 5 / 15 ، 93 .

ياء ساكنة ثالثه[1] ،ولكن لِمَ كانت هذه العلامة للتصغير ؟ الواقع " أنّ التكثير هو الأصل ، ولم يفتقر الكلام معه إلى علامة تدلُّ على التكثير ؛ لأنّ العلامات إنّما يُؤتى بها عند تغيير الكلام عن أصله ، وأمّا التصغير ، فإنّه يفتقر إلى علامةٍ ؛ لأنّه حادثٌ لنيابته عن الصفة " [2] .

ويأتي التصغير في اللغة العربية لعدّة معانٍ ، هي : التحقير والتقليل أو الاختصار والتقريب والتعطُّف والتعظيم [3] ، أمّا عن أبنيته ، فقد جاء في التسهيل : " يُصَغَّر الاسم المتمكِّن الخالي من التوغُّل في شبه الحرف ، وصيَغه فُعَيْل وفُعَيْعِل وفُعَيعيل " [4]. ولمّا اطلعت على (ملء العَيْبة) وجدت أنّ ابن رُشيد ضمّنه بعض ملاحظ التصغير ، ومنها ما جاء في سياق حديثه عن السفر من المدينة إلى مكّة .

فقال : " صحبني في الطريق ، من المدينة – على ساكنها الصلاة والسلام ، قاصدين إلى البيت الحرام – أحد الشيوخ من شرفاء المدينة . فلمّا وافينا رابغ رأيت أمرًا عجبًا من تخلُّل الوحش : الغزال والأرنب بين الجمال والرحال ، بحيث يناله الناس بأيديهم ...ثُمّ رحلنا عنه منزلاً منزلاً إلى أنْ وافينا (خُلَيْصًا) يوم الإربعاء ضحوةً،لثالث من ذي حجّة ، فقِلْنا هناك ورفعنا عَشِيّ النّهار . وفي وصف خُلَيْص أقول من قصيد :

وخُلَيْصُ إذْ وردْنا خلْصَهُ فرَعى الله أُوَيْقاتَ الورود

...وهذا البيت اتفقت فيه موافقةٌ حسنةٌ في التصغير ، كرَعت من موردِ من الحُسْن لا تُحلأ عنه ؛ وذلك أنّ الشعراء أكثروا من التصغير في

(1) شرح المفصل 5 / 133 .
(2) السابق 5 / 115 ، ويُنظر العلامة في النحو العربي ، ص 27 ، 106 .
(3) يُنظر : السيوطي : همع الهوامع 2 / 185 ، وشرح الشافية 1 / 192 .
(4) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 284 ، ويُنظر الكتاب 3 / 415 .

محال، إمّا لضرورة وزن ، أو لقصدٍ ضعيفٍ غير قويّ ، وربّما ندر منهم فيما صدر عنهم ما يُستَحْسن . كان شيخنا بحر البلغاء وحبر الأدباء أبو الحسن حـازم بن محمد – رحمه الله – يقـول ، وقرأتـه بخطّه : كان أبو الطيب المتنبي مولعًا بالتصغير ، ولم يُوفّق من ذلك إلاّ في قوله : (من البسيط)

ظَلِلْتُ بين أُصَيْحابي أُكَفْكِفُه   وظلَّ يَسْفح بَيْنَ العُذْرِ والعَذَل

فحَسُن هذا لمّا كان الموطن مَظِنّةً لقلّة الصحب ، فكثيرًا ما يستعملون ذِكْر الخليلين في هذا الموضع . قلتُ : ووجه حُسْن البيت الذي أنشدته من طريقين : أحدهما : المناسبة اللفظية ، فإنَّ خُلَيْصًا مصغّرٌ وأُويقات كذلك . والمناسبة اللفظية ممّا تُعتبر . ومن مُستحسن ذلك قول الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي ، رحمه الله

بلادي التي ريشَت قُوَيْدِمتي بها   فُرَيخًا وآوتني قرارتُها وكرا

فحسُن موقع تصغير القادمة لمكان تصغير فرخ . الثاني وهو أقوى للحظ المعنوي ، وهو أنَّ أوقات السرور تُوصف بالقصر ، وقد أكثر الشعراء من ذلك حتّى قلت : (البسيط)

ولم يزَلْ زَمَنُ الأَفْرَاحِ مختصرا

فناسب ذلك التّصغير " [1] .

من خلال هذا النص يتضح لنا أنَّ كلمة (خُلَيْص) على وزن (فُعَيل) مصغر كلمة(خليص) ، وفي وصفها أنشد ابن رُشَيد قصيدةً ، منها بيته السابق ذِكْره ، وهو ما علّق عليه بقوله : وهذا البيت اتفقت فيه موافقةٌ حسنةٌ في التصغير ، كرَعت من موردٍ من الحُسْن لا تُحلأ عنه ، مُشيرًا إلى أنَّ الشعراء أكثروا من التصغير في محال ، إمّا لضرورة وزن ، أو لقصدٍ ضعيفٍ غير قويّ ، وربّما ندر منهم فيما صدر عنهم ما يُستَحْسن .

---

[1] مِلء العَيبة 5 / 75 – 77 ، ويُنظر : المصدر نفسه 2 / 95 ، 5 / 278 .

وممّا يُستحسن ما ذكره أبو الحسن حازم بن محمد من تعليقٍ على بيت المتنبي السابق ذِكره بأنَّ التصغير حَسُن لمّا كان الموطن مَظِنّةً لقلّة الصحب ، فكثيرًا ما يستعملون ذِكْر الخليلين في هذا الموضع ، وفيما عدا ذلك لم يوفّق فيه المتنبي .

أمّا بيت ابن رُشَيد ، فقد أشار إلى أنّه حَسَنٌ من طريقين : أحدهما المناسبة اللفظية ، والآخر المناسبة المعنوية ، وهما ممّا أوافقه عليه .هذا ، وقد أشار إلى أنَّ وجه المناسبة اللفظية آتٍ من كون كلمة (خُليص) مصغرةً وكذلك كلمة (أُويقات) ، والمناسبة اللفظية ممّا تُعتبر ، أمّا وجه المناسبة المعنوية فآتٍ من أنَّ أوقات السرور تُوصف بالقصر ؛ ومن ثَمّ ناسبها كلمة (خُلَيْص) المُصغّرة . هذا وقد شرع ابنُ رُشَيدٍ في تعضيد حُسْنِ التصغيرِ في بيته ومناسبتِه للمعنى بالكثير من الشواهد ، فقال : " وممّا كان شيخُنا أبو الحسن – رحمه الله يستحسنه من ذلك قول الشريف :

يُوَلِّع الطّل بُرْدَينا وقد نَسَجَتْ   رُويحةُ الفَجْرِ بين الضّال والسَّلم

فإنَّ لقوله (رُويحة) حُسْنَ موقعٍ في النَّفْس ؛ لأنَّهم لمّا كانوا يقولون: نسيمٌ عليلٌ ، ونَفَسٌ خافتٌ ، كان تصغير لفْظِ الرِّيح في هذا البيت مُستحسنًا مُختارًا ؛ ولذلك سمعنا شيخنا أبا الحسن – رحمه الله – يعيب قول ابن عمّار :

أدِرِ الزُّجاجةَ فالنَّسيمُ قد انبرى   والنَّجمُ قد صرَفَ العنانَ عن السَّرى

لأنَّ الانبراء كأنّه اعتراضٌ بقوة ، والنسيم من شأنه أنْ يوصف باللدونة والرِّقّة "[1] ، وهو الأمر الذي يؤكّد على مناسبة التصغير في بيت ابن رُشيدٍ ،لفظًا ومعنًى؛ومن ثَمّ وعْيُه بالعلاقة بين التّشكيل الصرفيّ والمعنى .

---

[1] مِلء العَيبة 5 / 78 ، ويُنظر:5 / 78 - 80 ، وبيت الشريف من البسيط ، وبيت ابن عمّار من الكامل .

ثالثًا – ما يتّصل بالنَّسب :

يُعَدُّ النَّسب ظاهرةً لغويةً مهمةً ، التفت إليها القدماء ، فخصوها بدراسة مستفيضة ، ولعلّها أكثر أهميةً في عصرنا الحاضر ؛ لكثرة الحاجة إلى استعمالها بسبب انتشار العلوم ومناهج التفكير ومذاهب الأدب والفنون والسياسة والاجتماع ، وأنت لا تكاد تقرأ صفحةً واحدةً من كتابٍ أو رسالةٍ أو صحيفةٍ أو غيرها إلاّ وتلتقي بكلمات من نحو : غربيّ – شرقيّ – ليبيّ – مصريّ – اشتراكيّ – وجوديّ – ماركسيّ ... إلخ ، ممّا يدلُّ على خروج الاسم من الأسماء إلى الأوصاف[1]. والاسم المنسوب The relative noun هو الملحق بآخره ياء مشدّدة مكسورٌ ما قبلها علامة للنسب إليه[2] . وممّا تضمنته ملء العَيبة ، فيما يتصل بالنَّسب ما عرض له ابنُ رُشيد صدد تعليقه على حديثٍ رواه مالك في موطئه مُتمّمًا مُفصّلاً عن زيدِ بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله الصُّنابحيّ أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (إذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه...إلخ) ، فقال : " قلت والله المرشد : هكذا يقول ابن مالك في هذا الحديث " عن عبد الله الصُّنابحيّ ...وقال الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن موسى – رحمه الله – في كتاب العجالة له في الأنساب ما نصُّه : " الصُّنابِحيّ منسوبٌ إلى صنابح بن زاهر بن عامر بن عَوْثبان بن زاهر بن يُحابر ، وهو مراد ، بطنٌ من مراد "[3] .

فمن خلال هذا النص نلاحظ أنَّ ابن رُشيد يقرُّ بأنَّ لقب راوي الحديث هو(الصُّنابحيّ) مستشهدًا بقول الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن موسى : إنَّ الصُّنابِحيّ منسوبٌ إلى صنابح ، وبذلك يكون النسب إلى صنابح على اللفظ ، بزيادة ياء النسب المشددة ، للدلالة على نِسبة هذا الراوي إلى

(1) يُنظر : شرح الشافية 2 / 4 ، والتطبيق الصرفيّ ، ص 139 .
(2) شرح المفصل 5 / 141 – 143 .
(3) ملء العَيبة 5 / 45 – 49 ، ويُنظر : 2 / 192 .

صنابح بن زاهر بن عامر ؛ ومن ثَمّ خرج الاسم من الأسماء إلى الأوصاف ، ودلَّ على هذا التحوُّل المعنويّ تحوُّلٌ لفظيٌّ في آخر الكلمة ، وهو إضافة ياء النَّسب ، وهو الأمر الذي يؤكّد على وعي ابن رُشيد بالعلاقة بين التشكيل الصرفيّ والمعنى .

المبحث الثاني

خصائص التراكيب

سنعالج في هذا المبحث بعضًا من خصائص التراكيب التي تنبئ عن فاعلية اللغة والوعي بحركتها في رحلة ابن رُشَيد ، من خلال ما يلي :

أولاً – إعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب .

ثانيًا – القضايا التركيبية " الحذف – الإحلال – إعادة الترتيب بالتقديم والتأخير واستخدام الفصل – الترخُّص في العلامة الإعرابية " . وبيان ذلك على النحو التالي :

أولاً – إعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب :

لمَّا كان الكلام نسيجًا من الأصوات والصَّرف والنَّحو والدلالة ، فإنَّه يمكن القول : إنَّ الإعراب من الظواهر التي لازمت العربية منذ نشأتها ، حيث تدلُّ حركات الإعراب على المعاني المختلفة ، وقد اتفق على ذلك جميع النحاة باستثناء قطرب تلميذ سيبويه ، فقد أنكر وجود علاقة بين الإعراب والمعنى ، ودُحِضَ رأيه بنصوص القدماء والمحدثين[1] ، وفي هذا الاتجاه يرى عبدالقاهر الجُرجاني أنَّ الألفاظ مغلقةٌ على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ،وأنَّ الأغراض كامنةٌ فيها حتى يكون هو

(1) يُنظر في ذلك : الإيضاح في علل النُحو 69 - 70 ، والمزهر في علوم اللغةَ327/1 ، وفصول في فقه العربيةَ ص 372-373 ، ودراسات في فقه اللغةَ 117 وما بعدها ، والعلامةَ الإعرابيةَ في الجملةَ بين القديم والحديث ص268 .

المستخرج لها،وأنّه المعيار الذي يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف صحيحٌ من سقيمٍ حتى يُرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلاّ مَن ينكر حسه ، وإلاّ مَن غالط في الحقائق نفسه " [1] .

لكن ينبغي التنبُّه إلى أنَّ الإعراب ليس الوسيلة الوحيدة للوصول إلى المعنى،فهناك العناصر المقامية المتصلة بسياق المقام من متكلم ومخاطب، وما يتصل بذلك بالإضافة إلى العناصر اللفظية التي تتعلق بالنواحي الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية ، فالإعراب قرينةٌ لفظيةٌ تعد جزءًا من السياق بما فيه من قرائن أُخَر ، وصل بها الدكتور تمام حسان إلى سبع قرائن[2] .

لمّا كان الأمر كذلك فإنّني أودُّ التعريج على " كون الإعراب فرع المعنى " ، فالمقصود بقول النحاة على حد قول الزركشى إنَّ " الإعراب فرع المعنى"[3] في رأى الدكتور تمام حسان هو المعنى الوظيفيّ لا المعنى المعجميّ ولا المعنى الدلالي[4] ، حيث إنَّ " المعنى الدلاليّ في جانب والإعراب في جانب آخر ؛ لأنَّ الإعراب يكشف عن معانٍ وظيفية لا

(1) دلائل الإعجاز 28 .

(2) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص181 وما بعدها ، والعلامة الإعرابية ص284- 292 ، وأصالة الإعراب ودلالته على المعاني ص171-179 ، حيث يرى د . جبل أنَّ تصوير الإعراب بأنّه مجرد قرينةٍ واحدةٍ ضمن سبع قرائن يوصل بمجموعها إلى المعنى التركيبي هو وجهٌ للتهوين من شأن الإعراب ، منتقدًا في ذلك الدكتور تمام ، منتهيًا إلى أنَّ تفسير الإعراب والمعنى التركيبي بالقرائن على ما وصف الدكتور تمام فيه من التكلف أكثر ممّا فيه من الدّقة والتحقيق ، ذلك أنَّ المتلقي للكلام يتلقف خلاصة ما يراد به ، وهي الخلاصة المتمثلة في الإسناد أي "الخبر" أو الحكم أو الفائدة التي يحملها الكلام ، ويُنظر : من قضايا اللغة : وجوب تحليل البناء اللغويّ من خلال مسرح الحدث الذي دار عليه ص 98 - 120 .

(3) البرهان في علوم القرآن1/302 ، ويُنظر : الإيضاح في علل النحو ص69 .

(4) يُنظر : مناهج البحث في اللغة ص194 ، واللغة العربية معناها ومبناها ، ص182-184 ، 372 .

دلالية"[1] . ومن الواضح أنَّ المعنى الدلالي يأتي نتيجةً لعددٍ من المعاني المختلفة في تركيب الجملة من المعنى الصرفيّ والمعنى النحويّ والمعنى المعجميّ"[2] .

وبناءً على ما سبق فإنَّ المقصود بالإعراب فرع المعنى- كما يرى الدكتور تمام حسان والدكتور محمد حماسة- هو المعنى الوظيفيّ ، وهذا الرأي لهما على عكس ما رآه الدكتور عبدالسلام حامد ، حيث يرى أنَّ المقصود بالمعنى الذي يدلُّ على الإعراب " ليس هو المعنى الوظيفيّ فقط دائمًا ، بل هو المعنى الوظيفيّ مضافاً إليه المعنى المعجميّ أحيانًا كثيرة، وذلك حينما يكون من الصعب الوصول إلى الإعراب بالاعتماد على المعنى الوظيفيّ وحده ، بل يكون من المحتم لأجل ذلك اللجوء إلى المعنى المعجميّ ، وقد ورد عند ابن هشام أمثلة مختلفة لهذا، منها :

تَقِيُّ نَقِيُّ لَم يُكَثِّر غنيمةً   بِنَهْكَةِ ذي قُرْبَى وَلاَ بِحَقَلَّدِ

فهنا لا يمكن إعراب "بحقلد" إلا بعد معرفة معناها وهي سيء الخلق، وبناء على هذا تكون هذه الكلمة معطوفة على التوهم ، إذ التقدير ليس بمكثر غنيمة ولا بحقلد"[3] .

وبعد عرْضه لأمثلة ابن هشام فيما شابه بيت زهير ينتهي إلى قوله : "من هذا يتبين لنا أنَّ المعنى المعجميّ شرطٌ مهمٌّ في أحيان كثيرة للإعراب والتحليل النحويّ بصفةٍ عامة ؛ ومن ثمّ يصح أن نقول : إنَّ الإعراب فرع المعنى الوظيفيّ وفرع المعنى المعجميّ أيضًا . وبذلك لا نتفق مع الدكتور تمام حسان في رأيه الذي يرى فيه أنَّ الإعراب فرع المعنى الوظيفيّ ، لا

(1) العلامة الإعرابية في الجملة ، ص223 .

(2) السابق ص222 .

(3) تحليل اللفظ وتقويم المعنى وأثرهما في التراث النحوي ص45 ، والبيت من الطويل.

المعنى المعجميّ ولا المعنى الدلالي... ونشير أخيرًا إلى أنّ الدكتور محمد حماسة أيد رأى الدكتور تمام السابق في أنّ الإعراب فرع المعنى الوظيفيّ، وقد حاول أنْ يؤكد هذا الرأي ، ويستدل له غير أننا لا نوافقه على ذلك أيضاً "[1] واستدل على ذلك بدليلين يمكن الرجوع إليهما في مظانهما[2] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور تمام حسان والدكتور حماسة عندما قالا إنّ الإعراب فرع المعنى الوظيفيّ لا المعنى المعجميّ لم يقصدا أنّ المعنى المعجميّ مبتور الصلة بالإعراب ، فالأمر ليس على إطلاقه ، حيث يقول الدكتور حماسة : " وكلٌ من الموقع الإعرابيّ والحالة الإعرابية جانب تجريديٌّ ، تصطنعه الدراسة ، لتفسير بناء الجملة والكشف عن علاقاتها ، وهي في الوقت نفسه نابعةٌ من فهم معنى العلاقة بين الأجزاء ، تلك العلاقة التي يسهم في نشأتها المعنى المعجميّ للمفردات"[3] . وبناءً على ذلك فلا بأس من القول بأنّ الإعراب فرع المعنى الوظيفيّ والمعنى المعجميّ معًا ، ولا سيما أنّ هذا ما رآه الدكتور محمد حسن جبل أيضًا ، حيث عرض لرأى الدكتور تمام أيضًا. منتهيًا إلى أن الإعراب فرع المعنى التركيبيّ "الوظيفيّ" والمعنى اللغوي المعجميّ"[4] . وهذا ما نراه وما نؤيّده .

ومهما يكن من أمرٍ ، فبعد هذه التوطئة أشير إلى أنّ المتتبع للتحليل اللغويّ للنصوص لدى القدماء سيجد أن الحديث عن إعطاء الكلام حقَّه من المعنى والإعراب قد اتخذ عدة سبُلٍ ، فإمّا أنْ يكون ببيان إعطاء الكلام

[1] السابق ص46-47 .
[2] السابق47-48 .
[3] بناء الجملة العربية ص75 ، 197 ، وينْظر: اللغة وبناء الشعر ص32 ، والنحو والدلالة ص173 .
[4] يُنظر: أصالة الإعراب ودلالته على المعاني ص ص133-157، 173- 178، 221 ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص 37 – 39 .

حقَّه من المعنى مع فساد الإعراب ، أو بإعطاء الكلام حقّه من ناحية الإعراب مع اتصافه بالفساد من طريق المعنى ، أو بإعطاء الكلام حقَّه من المعنى والإعراب معًا ، وهو ما ينبغي أنْ ينعكس على تفكيرنا في تناولنا مثل هذه النصوص أو غيرها بالتحليل .

وممّا لا شكّ فيه أنّ إعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب قد تداول لدى السابقين على (ابن رُشَيد) ، فها هو ابن الشجري – مثلاً – في تعليقه على قول المتنبي :

وتَراه أصْغَرَ ما تَرَاهُ ناطِقًا ويكونُ أكْذَبَ ما يكونُ ويُقْسِمُ

يقول : " رُوي عن أبي العباس ثعلب أنّه قال : كان الكسائيُ والأصمعيُ يومًا بحضرة الرّشيد ، وكانا ملازمين له ، يقيمان بإقامته ، ويظعنان بظَعْنه ، فأنشد الكسائيُ :

أنَّى جَزَوْا عامرًا سُوءًى بفِعْلِهِمُ أمْ كيف يَجْزُونَني السُّوءَى مِنَ الحَسَنِ
أمْ كيف ينفَعُ ما تُعْطِي العَلُوقُ به رِئمانُ أنْفٍ إذا مـــا ضُنَّ باللَّبَنِ

فقال الأصمعيُ : إنَّما هو رِئمانَ أنفٍ بالنصب ، فقال له الكسائيُ : اسكُت ما أنت وهذا ! يجوز رِئْمانُ أنفٍ ، ورِئْمانَ أنفٍ ، ورِئْمانِ أنفٍ بالرَّفع والنصب والخفض ، أمَّا الرَّفعُ فعلى الرَّدِّ على (ما) ؛ لأنَّها في موضع رَفْعٍ بينفع ، التقدير : كيف ينفع رِئْمانُ أنفٍ ، والنصب بتُعطي ، والخفض على الرَّدِّ على الهاء التي في به . قال : فسكت الأصمعيُ ، ولم يكن له عِلْمٌ بالعربية ، إنَّما كان صاحبَ لغةٍ ، ولم يكن صاحب إعراب . انتهي كلامه . وأقول : إنّ الضمير الذي هو الهاء والميم في قوله : (بفعلهم) يعود على عامر ؛ لأنَّه أراد به القبيلة ، وقوله : (من الحَسَنِ) متعلِّقٌ بحالٍ محذوفةٍ ، والتقدير : كيف يَجْزُونني السُّوءَى بدلاً من الحَسَن،

ومثله في التنزيل : ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾[1] أي بدلاً من الآخرة ... والعَلُوقُ من النُّوق :التي تأبى أنْ ترأمَ ولدَها أو بَـوَّها ، والبَوّ – يُقال له الجَلَدُ أيضًا – : جِلْدُ الحُوارِ يُحْشَى ثُمامًا أو حَشِيشًا غيرَه ، ويُقدَّم إليها لِتَرْأَمَه ، فَتدُرَّ عليه ، فتُحلَبَ ، فهي ترأمُه بأنفها ، ويُنكِرُه قلبها، فَرأمُها له أنْ تَشَمَّه فقط،ولا تُرسلُ لبنها .

وقوله : (ما تُعْطِي العَلُوقُ به رِئْمانُ أنفٍ) ما خبريّةٌ بمعنى الذي ، وهي واقعةٌ على البَوّ ،وانتصاب (الرِّئْمان) هو الوجه الذي يصحُّ به المعنى والإعراب ، وإنكارُ الأصمعيّ لرفعه إنكارٌ في موضعه ؛ لأنَّ رِئْمانَ العَلُوق للبَوّ بأنفها هو عطيَّتُها، ليس لها عطيَّةٌ غيرُه ، فإذا أنت رفعتَه لم يبقَ لها عطيَّةٌ في البيت ، لفظًا ولا تقديرًا ، ورفعُه على البدل من (ما) ؛ لأنَّها فاعلُ (ينفع) ، وهو بدلُ الاشتمال ، ويحتاج إلى تقدير ضميرٍ يعود منه المبدل منه ، كأنَّك قلت : رِئْمانُ أنفِها إيّاه ، وتقدير مثل هذا الضمير قد ورد في كلام العرب ، ولكنْ في رفعه ما ذكرت لك من إخلاء (تُعطي) من مفعولٍ في اللفظ والتقدير،وجرّ الرِّئْمان على البدل أقربُ إلى الصَّحيح قليلا ،وإعطاءُ الكلام حقَّه من المعنى والإعراب إنَّما هو بنصب الرِّئْمان ، ولنُحاة الكوفيين في أكثر كلامِهم تهاويلُ فارغةٌ من حقيقة "[2] .

أمَّا ابن رُشيدٍ ، فقد ألمح إلى ذلك في أكثر من موضع برحلته[3] ، ومن ذلك ما ذكره من أنَّ الشَّيخ علَم الدين بن أبي إسحاق سأل علَم الدين

---

[1] سورة التوبة ، من الآية 38 .

[2] أمالي ابن الشجري 1 / 54 – 56 ، ويُنظر به أيضًا على سبيل المثال : 1 / 39 ، 74 ، 89 ، 97 ، 115 ،167 ، 312 ، 2 / 21 ، 441 – 442 ، والمحتسب 1 / 164 ، 317 ، 394 ، 395 .

[3] يُنظر : مِلْء العَيبة 5 / 186 ، 335 – 340 .

العراقي (أبا محمد عبدالكريم بن عليّ بن محمد الأنصاريّ الشافعيّ) عن إعراب قوله تعالى:﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1] ، مُخبرًا إيّاه بأنَّه لا يصحُّ حَمْلُ الآية الكريمة على ظاهرها ؛ لأنَّ حَمْلَها على ظاهرها يلزم منه أحد أمرين : إمَّا نَفْي التنبئة ، وإمَّا نَصبُ كلمة (مِثْل) .

هذا،وقد أضاف ابن أبي إسحاق أنَّ نَصْب كلمة (مِثْل) يجعل المُعربين يقولون : إنَّ التقدير : ولا يُنبِّئك أحدٌ مِثْلَ تنبئة الخبير ، وأمام هذا الأمر أشار العراقيُّ إلى أنَّ مَحْمل الآية عنده أنَّ التقدير والإعراب هو – أي إعطاء الكلام حقَّه من المعنى والإعراب – لا مِثْلَ للخبير فيُنبئك هذه التنبئة ، وذلك على ما عُرف من كلام العرب ، نحو قول امرئ القيس : (من الطويل)

عَلى لاحبٍ لا يُهْتَدى بمناره   إذا ساقَهُ العَودُ النُّباطِيُّ جَرْجَرا

أي لا منارَ له فيهتدي به[2] .

ولم يقتصر ابن رُشَيدٍ على ما جرى بين العراقيِّ وابن أبي إسحاق ، بل أراد أنْ يفصِّل القول في إعطاء الكلام حقَّه من المعنى والإعراب ، فقال : " قلت والله المرشد : وتفصيل ما أجمله الشيخ يحتوي على تقريرٍ وتحرير"[3] ، ثُمَّ شرع في بيان حقيقة هذا التقرير وكُنْه ذلك التحرير .

---

[1] سورة فاطر ، الآية 14 ،والمعنى " لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر خبيرًا خبرك به ، يعني به تعالى نفسه كما روى عن قتادة وغيره ، فإنّه سبحانه الخبير بكُنه الأمور، وهو خطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويجوز أنْ يكون غير مختص ،أي لا يخبرك أيُّها السامع كائنا مَن كنت مخبرٌ هو مثل الخبير العالم الذي لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السَّماء ، والمراد تحقيق ما أخبر سبحانه به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الإلهية " روح المعاني 22 / 183 ، ويُنظر : معاني القرآن للنحاس 5 / 248 .

[2] يُنظر : مِلء العيبة 5 / 335 – 336 والبيت لامرئ القيس ، بديوانه ، ص 96 ، والنباطي : الضخم ، وجرجر : ضج ، واللاحب : الطريق ، وقبله يقول :

وَإنّي زعيمٌ إنْ رَجَعْتُ مُملَّكا   بسَيْرٍ ترى منه الفُرانقَ أزْوَرا

والفُرانق : الأسد .

[3] السابق 5 / 336 ، ويُنظر 5 / 337 – 340 .

أمّا عن التقرير ، فقد أشار إلى أنّ القائل إذا قال : ينبّئك مثل زيد ، ثُمّ أدخل حرف النّفي على (يُنبّئك) ، فإنّ هذا المُوجب – أي الإثبات – يكون قد انتفى ، سواءٌ أبقينا(مثْلاً) على ظاهرها أو أردنا بها ما يُرادُ بقولهم أنّ الآية لم يُرد بها نَفْي التنبئة – وهو ما أؤيّده فيه – ولو أُريد : لا يُنبّئك أحدٌ مثلَ تنبئة الخبير لَزم إظهار الفاعل (أحد)ونَصبُ كلمة(مثْل)[1].

أمّا التحريرُ ، فقد قال : " وأمّا التحرير فإنّه ممّا أُقيم فيه المُسبّب مُقام السبب ، فنُفي المُسبّب ، والمُراد نفي السبب ، وهو وجود مثْلٍ لهذا الخبير المُخْبر. فحاصل المعنى من العبارة الكريمة : يا محمد لا تنبئةٌ موجودةٌ من أحــدٍ كهذه التنبئة ؛ لانتفاء مثْلِ خبيرٍ أنبأك بها . ويُنْظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ﴾[2] ، المعنى فلا يُقبل ، وتقديره : فلا يربو أجرُه كربا الصدقات المقبولات وتضاعفها ، فنُفي فَرْعُه لانتفاء أصله ؛ لأنّ الزّيادة فَرْع المزيد ، فإذا انتفى الأصل انتفى الفرع ، ونحوٌ منه قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ ﴾[3] ، أي من خوف الذُلِّ ، فنفي اتّخاذ الوليّ لانتفاء سببه ، وهو خوف الذُلِّ ، فإنّ اتّخاذ الوليّ فرعُ المخافة من الذُلِّ ومسبّبٌ عنها "[4] .

فمن خلال هذا النص يتضح لنا أنّ ابن رُشَيدٍ قد أعطى الكلام حقّه من ناحية المعنى والتقدير مُشيرًا إلى أنّ هذه الآية من قبيل ما أُقيمَ فيه المسبّبُ مُقام السّبب ؛ ومن ثَمّ نُفي المُسبّب(مثْل خبير) والمُراد نفي السّبب (وجود مثْلٍ لهذا الخبير المُخْبر) ، فحاصل المعنى من الآية الكريمة : يا محمد لا

(1) يُنظر : السابق 5 / 337 .
(2) سورة الروم ، من الآية 39 .
(3) سورة الإسراء ، من الآية 111 .
(4) ملء العيبة 5 / 337 .

تنبئةٌ موجودةٌ من أحدٍ كهذه التنبئة ؛ لانتفاء مثْلِ خبيرٍ أنبأك بها . ولم يكتفِ بذلك ، بل لجأ إلى إعطاء الكلامِ حقّه من المعنى والإعراب بالنّظر إلى نظيره ، فأشار إلى أنّ المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ﴾ هو : فلا يُقْبلُ ، وتقديره : فلا يربو أجرُه كربا الصدقات المقبولات وتضاعُفها ، فنُفي فَرْعُه ، وهو(زيادة الأجر) لانتفاء أصله ؛لأنّ الزّيادة فرْع المزيد ، فإذا انتفى الأصل انتفى الفرع . ومثله أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ ﴾، فمعناه على حَذْف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه ؛ أي من خَوف الذُلِّ ، فنَفْي اتّخاذ الوليّ لانتفاء سببه، وهو خوف الذُل ، ولا شكّ في ذلك ، فاتّخاذُ الوليِّ فرْع المخافة من الذُلِّ ومُسبَّبٌ عنها .

ويتصل بما سبق تعليقه – أيضًا – على قــول امرئ القيس السابق ذكْره :

عَلى لاحِبٍ لا يُهْتَدى بِمنارِه   إذا ساقَهُ العُودُ النُّباطيُّ جَرْجَرا

قال " فيحتمل عندي وجهين : أحدهما أنْ يكون ممّا نُفي فيه المُسبّبُ والمراد نَفْي سببه ؛ أي لا منارَ له فيهتدي به ، وحاصلة نفي المُسبَّب لاعتقاد نفي سببه ، وإنّما قلنا : إنّ المراد نفي سببه ؛ لأنّه لا يلزم من نفي المُسبَّب نفي السَّبب بخلاف العكس . الوجه الثاني : أنْ يكون أراد نَفْي الجدوى ، وهي الهداية ، فلعدم جدوى هذا المنار ، وهي الهداية به، وإنْ كان موجودًا فكأنّه معدوم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ

أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾[1] ، يعني الأيمان بعد ثبوتها ؛ لانتفاء ثمرتها ، وهي الوفاء بها "[2] .

فابنُ رُشَيدٍ في هذا النص يوضح معنى قول امرئ القيس بأنّ المعنى : لا منارَ لهذا الطريق – الذي يمشي على جهةٍ أو أنّ الحوافر قد لحبته فصارت فيه طرائق– فيهتدي به ؛ أي نَفْي المسبَّب ، وهو(الاهتداء) ؛ لاعتقاد نَفْي سببه ، وهو(وجود المنار) ، وبذلك يكون من قبيل ما نُفي فيه المسبَّب والمراد نَفْي سببه . وقد يكون المعنى على نَفْي الجدوى ، وهي الهداية ؛ أي أنّه لعدم جدوى هذا المنار ، وهي الهداية به ، فهو وإنْ كان موجودًا فكأنّه معدوم ، ودلّل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾ ،أي الأيمان بعد ثبوتها ؛ لانتفاء ثمرتها ، وهي الوفاء بها ، وهو ما يُسمّى بالنفي الفرضيّ ، تأكيدًا للنّفي[3] .

وذلك التأكيد – تأكيد النّفي الفرضيّ – يتضح أكثر في قول ابن رُشَيد: "وكان شيخنا مجلّي الحفاظ ،ومحلّي ترائب المعاني بأتراب الألفاظ، الإمام العلاّمة أبو الحسنِ حازم بن محمد بن حازم الحازمي – رحمه الله – يسمّي هذا النوع النّفي الفرضيّ ، وهو أنْ يُراد نَفْي الشيء فيُنْفى جزاؤه أو ما يخصُّه إذا قُدِّر وجوده فرضًا ، ويقصد بذلك تأكيد نفيه ، ويقول : "إنّ تحقيق التقدير في قول امرئ القيس أنْ يكون المقصود أنّه لا منارَ فيه يهتدي به ، ولو فُرِض فيه منارٌ أيضًا لم يُهتد به ؛ لكنّه من البُعد بحيث تتضاءل فيه المسافة التي يمكن أنْ يهتدي فيها بالمنار فتنقطع عن سالكه رؤيته وهو في أول تيهه وضلاله ، فكأنّه لم يهتد به جملةً ، أو لأنّه من كثرة الآل والسراب بحيث لو قُدِّر فيه ثبوت منارٍ لم يهتد به أيضًا ؛

[1] سورة التوبة ، من الآية 12 .
[2] مِلء العيبة 5 / 337 – 338 .
[3] للاستزادة في هذا الشأن يُنظر : شرح ديوان امرئ القيس ، ص 90 – 91 .

لانطماسه فيها " . وكأنّ ما ذهب إليه شيخنا أبو الحسن – رحمه الله – ينتظم الوجهين المتقدّمين ، ومن هذا المعنى عندي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾[1] ، أي أنّهم لا يستجيبون بحالٍ ، ولو قدّرت سمعهم "[2] .

فابنُ رُشَيْد ذيّل كلام أبي الحسن ألحازمي بأنّه ينتظم الوجهين المتقدمين اللّذين ذكرهما آنفًا ، في تعليقه على قول امرئ القيس ، ثُمّ أشار بعد هذا النّص إلى أنّه ممّا يُعدُّ من نَفْي الافتراض عنده قول زهير : (من الطويل)

بأرْضٍ خَلاءٍ لا يشدّ وحيدها   عليّ ومعروفي بها غير منكر[3]

فقال : " أيْ لا وحيد بها يُشَدُّ ، ولو قدر فيها ثبوت وحيد لم يكن هنالك مَنْ يشدُّه ؛ لإقفارها من الأنيس . ومنه قول أبي كَبير الهُذليّ :

وعلوتُ مرتبئًا علـى مرهوبةٍ   حصّاء ليْسَ رَقيبُها في مَثْمل
غَيْطاءَ معنفةٍ يكونُ أنيسُهـا   ورقَ الحمام جميمُها لم يُؤْكَلِ

أي لا جميم بها يؤكل ، ولو قُدّر بها جميمٌ لم يكن بها مَنْ يأكله ؛ لأنّها قفرٌ .

وكذلك قوله : ليس رقيبها في مَثْمَلٍ ، أي ليس بها رقيبٌ ، فيكون في مَثْمَل ، والمَثْمل : الملجأ ، والكلام على هذا وأمثاله يتّسع مجاله ، ويقلُّ رجاله "[4] .

ولعلّه من المفيد الإشارة إلى أنّ ابن رُشَيدٍ لم يكتفِ بالدلالة على أنّ ما سبق كان من قبيل النّفي الافتراضيّ ؛ أي إدخال النفي على كلمةٍ في الجملة والمراد غيرها إذا كان في الكلام ما يشهد لذلك ، بل دلّل على

[1] سورة فاطر ، من الآية 14 .
[2] مِلء العيبة 5 / 338 .
[3] أشار محقق مِلء العيبة إلى أنه لم يقف على هذا البيت في ديوان زهير ، وأنه ربما يكون للأخطل ، وقد تحققت من ذلك .
[4] مِلء العيبة 5 / 339 .

صحّة كلامه – وهذا ديدنه في كثيرٍ ممّا طرحه ، ممّا يتصل بإعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب – بما ذكره أبو بكر الأنباري في كتاب الوقف والابتداء ، فقال : " قلتُ : وقد يشهد لصحّة إدخالَ النفي على كلمةٍ في الجملة والمراد غيرها إذا كان في الكلام ما يشهد لذلك ما ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري – رحمه الله – في كتاب الوقف والابتداء من تأليفه لمّا تكلّم على قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾[1] ، فقال ما نصُّه : " فيه وجهان . إنْ شئت قلتَ : الوقف على قوله تبارك وتعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ ثمّ تبتدئ ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ؛أي وهم يطمعون في دخولها ، وإنْ شئتَ قلتَ : المعنى دخولها وهم لا يطمعون في دخولها قبله،فيكون الجحد منقولاً من الدخول إلى الطمع ، كما تقول في الكلام : ما ضربت عبد الله وعنده أحدٌ ، فمعناه ضربت عبد الله وليس عنده أحد ، فالجحد منقولٌ من الضَّرْب إلى آخر الكلام .حُكي عن العرب : ما كأنّها أعرابية ، بمعنى كأنّها ليست أعرابية .

قال وأنشد الفرّاء : (من المنسرح)

ولا أراها تزال ظالمةً   تُحدِثُ لي نَكْبةً وتَنْكَؤها

أراد وأراها لا تزال ظالمةً ، فمعنى الجحد الأول التأخير . وأنشد الفرّاء أيضًا :(من الطويل)

إذا أعْجَبَتْكَ الدّهرَ حالٌ من امرئٍ   فَدَعْـــهُ وواكِــل حـــالَه واللّياليا
يجئن على ما كان مِنْ صالحٍ به   وإنْ كان فيما لايرى النّاسُ آليا

أراد وإنْ كان في ما يرى الناس لا يألو ، فعلى هذا المذهب الثاني لا يحسن الوقف على قوله عزّ وجلّ (لم يدخلوها) " هــ . انتهى كلام ابن

[1] سورة الأعراف ، من الآية 46 .

الأنباري . قلتُ : وقد حملوا على نحو من هذا قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [1] ، وقالوا : المعنى لم يرها ، ولم يقارب رؤيتها، والله أعلم " [2] .

فأنت ترى ابنَ رُشَيد استشهد على صحة كلامه بكلام ابن الأنباريّ على قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ ، حيث يمكن الوقوف على قوله (لَمْ يَدْخُلُوهَا) ، ثم نبتدئ الكلام بقوله تعالى : (وَهُمْ يَطْمَعُونَ) وتكون هذه الجملة في محل نصب على الحالية . وبجانب ذلك فإنّ المعنى يمكن أنْ يكون على تقدير دخول النفي منقولاً من(الدخول = لَمْ يَدْخُلُوهَا) إلى (الطمع = وَهُمْ يَطْمَعُونَ)؛ أي أنَّ دخولها وهم يطمعون في دخولها ، كقولنا : ما ضربت عبد الله وعنده أحدٌ ، فالنفي على الرّغم من دخوله على الفعل(ضربتُ) ، فإنّه غير مقصودٍ نَفْيه ؛ لأنَّ المقصود بالنفي وجودُ أحدٍ عنده ، أي ضربتُ عبد الله وليس عنده أحدٌ ، فالنفي منقولٌ من الضرب إلى آخر الكلام ، وهو ما حُكِي عن العرب في كلامهم : ما كأنّها أعرابيةٌ ، بمعنى كأنّها ليست أعرابيةً ، وهو ما ينسحب على ما نُقِل عن الفرّاء – على نحو ما سبق – وحُمِل عليه قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ ، فمعناه لم يرها ، ولم يُقارب رؤيتها .

وهو الأمر الذي يتّضح منه أنّ هدف القدماء – ومن بينهم ابنُ رُشَيدٍ في رحلته هذه – في تحليلهم لم يكن منصبًا على مجرد السرد الوصفي لتفاصيل الرحلة والأحداث العابرة التي مرت بهم ، بل كان منصبًا أيضًا على إيصال المعنى إلى المخاطب من أوضح طريق ؛ ومن ثَمَّ السعي إلى

[1] سورة النور ، من الآية 40 .
[2] ملء العيبة 5 / 339 – 340 .

تحقيق مستوى البلاغة ، حيث يكون الهدف منصبًّا على التبليغ والتأثير معًا ، أي إبراز المعنى في صورةٍ مؤثِّرة في النفس ، مع ملاحظة أنَّ المبدع في جميع الأحوال لا يصنع نحوًا جديدًا بل يتحرك في إطار المسموح به[1] .

ثانيًا – القضايا التركيبية " الحذف – الإحلال – إعادة الترتيب بالتقديم والتأخير واستخدام الفصل – الترخُّص في الإعراب وترجيحه" :

قبل الحديث عن هذه القضايا تجدر الإشارة إلى أنَّ عملية الإبداع الفنيّ لدى أي شاعر أو كاتبٍ عبارة عن نظامٍ نحويٍّ ، ينتظم تراكيبه مجموعة من الألفاظ والمعاني التي تتضافر معًا من أجل إفراز ما يسمى بفاعلية المعنى النحويّ الدلاليّ ، وكلُّ ذلك بَلْوَرَه عبد القاهر الجرجاني في نظرية (النظم) ، فقال : " إذا عرفت أنَّ مدار أمر النَّظْم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أنْ تكون فيه ، فاعلم أنَّ الفروق والوجوه كثيرةٌ ، ليس لها غايةٌ تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادًا بعدها، ثم اعلم أنْ ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يُوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض... واعلم أنَّ من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن ، كالأجزاء من الصبغ تتلاحق ، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين... وما كان كذلك

---

[1] يُنظر : التحديات الداخلية التي تواجه اللغة العربية في العصر الحاضر ، ص 99 ، والرِّحلة في الأدب العربي ، ص 56 ، وعلى ذِكر (البلاغة) أشير هنا إلى شيوع الاستخدامات البلاغية لدى ابن رُشيد والإشارة إليها – ممّا لم يُبحث في هذا البحث ، وينوء ببحثه ؛ ومن ثَمّ نهيب بمَن يواصل المسيرة – وذلك نحو إشارته إلى الكناية 2 / 196 ، والمجاز 5 / 210 – 211 ، والتشبيه 5 / 370 – 371 ، والإشارة إلى التجميع 2 / 199 – 200 ، وهو أنْ يهيئ الشاعر للتصريع ولا يُصرّع .

فهو الشعر الشاعر، والكلام الفاخر، والنمط العالي الشريف ، والذي لا تجده إلا في شعر الفحول البُزّل "[1] .

فالملاحظ من هذا النص أنَّ عبدالقاهر قد أدرك العلاقة بين الشكل الماديّ للكلام وبين الجانب الدلالي أو ما يسمى بالجانب العقلي للمعنى ، وذلك "عن طريق الاستعـانة بالنحـو التقليـديّ مع تحويله إلى إمكاناتٍ إبداعية ، بالنظر إلى الصورة النحوية الظاهرة ومسبباتها الدلالية ، فالفاعل ليس فاعلاً لأنَّه مرفوعٌ وقع بعد الفعل ، بل لأنَّه قام بالفعل ، والمفعول لوقوع الفعل عليه ، وهكذا لم يكن اهتمام عبد القاهر بالناحية الوصفية إلا وسيلةً لإدراك الجانب العقلي في الصياغة . وهذا المنطلق الفكري لعبد القاهر يكاد يتشابه مع المنطلق الفكري لتشومسكى فيما بعد، حيث رفض الأخير المنهج الوصفيّ في النحو؛ لقصوره عن إدراك الجوانب الإنسانية في اللغة ، عندما ركّز على الواقع اللغوي وحده ، من خلال التعامل بين أفراد الجماعات اللغوية مع إغفال الجانب الخفي الذي يتحرك وراء المظهر المادي للكلام"[2] . ويقصد بالجانب الخفي الذي يتحرك وراء المظهر المادي للكلام الجانب الدلالي الذي سرعان ما عدل تشومسكي فيه عن رأيه ، فأولاه عنايته[3] .

وبناءً على ذلك فإنَّ القضايا التركيبية موضوع هذا الجزء من المبحث لا يمكن فصلها أو دراستها بمعزل عن الجانب الدلالي الكامن وراءها ،

---

[1] دلائل الإعجاز، ص87-89 .

[2] النحو بين عبدالقاهر وتشومسكى ص28 ، ويُنظر: في التعريف بآراء عبدالقاهر الجرجانى في اللغة والبلاغة ، ص 83 وما بعدها .

[3] يُنظر: نظرية تشومسكى اللغوية ص160-161 ، والنحو العربى والدرس الحديث ص109 وما بعدها ، وتشومسكى والثورة اللغوية 123-143، وكذلك :
Chomsky : syntactic structures , pp.92-105.

حيث إنَّ وصف النظام التركيبيّ للشعر والنثر على حدٍّ سواء أو تحديد البناء النحوي للجمل لا يمكن أن يتم دون أنْ يرتبط هذا بما تؤديه من دلالة؛ لأنَّ عزل النظام النحويّ عن الإبداع النثريّ أو الشعري لا معنى له[1] .

القضية الأولى – قضية الحذف :

تعد قضية الحذف فى اللغة العربية ، نثرها وشعرها ، من القضايا التى تؤثر فى دلالة التراكيب النحوية ، لكونها انحرافًا عمّا هو مألوفٌ من طرق التعبير العادية ،سواءٌ أكان الحذف حذف أسماء أم أفعال أم حروف. فإذا أمعنا النظر فى لغتنا نجد أنَّ الأصل ورود الكلام بغير حذف، لكن هناك بعض الأعراض ، التى تطرأ على الكلام ، حيث تُحْذَف بعض عناصره ؛ لذا عُدَّ من عوارض بناء الجملة . وهذه القضية لا يقتصر وجودها على العربية وحدها ، بل هى من القضايا الكلية فى اللغات ، "ولابد من تقبُّل تلك الظاهرة فى اللغة ؛لأنها مرتبطةٌ كثيرًا بمستويات التحليل اللغويّ ، ولا يمكن إقامة بعض المستويات فى الجملة دون تقدير ما هو محذوف ، وردّه إلى مكانه على ضوء ما تم وصفه من قواعد وقوانين"[2] .

هذا ، وقد طُبِعت رحلة ابنُ رُشيدٍ بأنواع الحذف المختلفة ، نحو حذف المبتدأ وحذف المضاف ، وحَذْف المفعول به الرَّابط في جملة الصلة ، وحَذْف كان واسمها ، وحذف حرف العطف[3] ، وغير ذلك ممّا جاء في أسلوبه أو في عرْضه لأمرٍ مّا ، ويمكن التمثيل لذلك من خلال ما يلي:

---

(1) يُنظر :الجملة في الشعر العربي ص87 ، ويُنظر : القضايا التركيبية في شعر الأعشى ص 5 – 6 .
(2) قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين ، ص209 .
(3) يُنظر: ملء العيبة 2 / 86 ، 295 ، 306 ، 309 ، 5 / 2 ، 3 ، 10 ، 14 ، 17 ،33 ، 72 ، 139 ، 233 .

حذف المضاف :

يرد حذف المضاف كثيرًا فى اللغة ، شعرها ونثرها حذفًا جائزًا، وإنْ كان يكثر فى الشعر– كما يقول ابن جنى– حتى إنَّه لا يُحْصَى ، وذلك لضربٍ من التوسُّع،والتوسُّع آخر الكلام أولى به من أوله[1]، قال سيبويه : "وممّا جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا﴾[2]وإنَّما يريد أهل القرية، فاختصر وعمل الفعل فى القرية كما كان عاملاً فى الأهل لو كان هاهنا "[3] ، ومثاله أيضًا قوله تعالى:﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[4] ، فالتقدير: حبُّ العِجْل، وقوله تعالى: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ﴾[5] أى أمْر ربك[6] .

قال ابنُ رُشَيْد : " ونزلنا منازل بالطريق سالكين إلى بُصرى ، وهي مدينة حُوران . وضبْطُ هذا الاسم بضمِّ أوله وإسكان ثانيه ، وفتْح الراء المهملة ، وفيه يقول المتلمِّس :

لَمْ تَدْرِ بُصْرى بما آليتَ مِنْ قَسَمٍ ولا دِمَشْقُ إذا دِيسَ الكراديسُ

أراد : دِيس زرع الكراديس ، وهي موضعٌ بدمشق "[7] . ومن خلاله يتضح الحسُّ اللغوي عند ابن رُشيدٍ ، بتنبُّهه إلى وسيلةٍ من وسائل اللغة في الاتساع بالإيجاز والاختصار ، عن طريق حَذْف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، فقول المُتلمِّس يُمكن وَصْفُه بأنَّه جملةٌ فعليةٌ مثبتةٌ، بنيتها الأساسية : فِعل + فاعل + مفعول " مضاف " + مضاف إليه، ولمّا

---

(1) يُنظر: الخصائص453/2 ، والمحتسب 260/2 ، 262 ، 345 ، والكتاب269/3، والمقتضب227/4-228 ، 351 ، والصناعتين ص200 ، وشرح المفصل23/3 .
(2) سورة يوسف ، الآية 82 .
(3) الكتاب1/ 212 ، ويُنظر: الخصائص364/2 ، 449 ، والنحو والدلالة ص45 .
(4) سورة البقرة ، الآية 93 .
(5) سورة الفجر ، الآية 22 .
(6) يُنظر: شرح ابن عقيل 76/2 .
(7) مِلء العَيْبة 5 / 2 .

بُنيت لِمَا لم يُسمّ فاعله تحوّلت في البناء الظاهري أو البنية السطحية إلى فعل + نائب فاعل ، وذلك بحَذْف المضاف ، وهو كلمة (زَرْع) وإقامة المضاف إليه مقامه ، وهو كلمة (الكراديس).

وممّا لا شك فيه أنّ الحذف للمضاف قد أسهم في توافق النظام النّحويّ مع النّسج الشعري ، فالبيت من بحر البسيط ، وتقطيعه ووزنه على النحو التالي :

لَمْ تَدْرِ بُصْ / رَى بِمَا / آلَيْتُ مِنْ / قَسَمِنْ ولا دمَشْ / قُ إذا / دِيْسَلْكَرَا / دِيْسُو

مُسْتَفْعِلُن / فاعِلُن / مُسْتَفْعِلُن / فَعِلُن مُتَفْعِلُن / فَعِلُن / مُسْتَفْعِلُن / فَعْلُن

وهو ما يتضح من خلاله أنّ الشاعر لو قال:(إذا دِيسَ زرعُ الكراديسِ) لأدّى ذلك إلى كَسْرِ الوزن ؛ ومن ثَمّ عدم استقامة القافية برويِّها المُراد .

حَذْفُ حرف العطف :

قد يحذف حرف العطف مع معطوفه ، وقد يحذف وحده جوازًا أيضًا ، وذلك في النثر والشعر ، لكنّه كثيرٌ في الشعر[1] ، وهو الأمر الذى جعل ابن هشام يرى أن "بابه الشعر، كقول الحطيئة[2] :

إنّ امرأً رَهطُه بالشّام، مَنْزِلُه برَمْلِ يَبْرِين جاراً شَدَّ ما اغْتَرَبَا

أى ومنزله برمل يبرين، كذا كما قالوا، ولك أن تقول: الجملة الثانية صفةٌ ثانيةٌ لا معطوفة، وحكى أبو زيد: أكلت خبزًا لحمًا ، فقيل على حذف الواو، وقيل على بدل الإضراب، وحكى أبو الحسن : أعطه درهمًا درهمين ثلاثة ، وخُرِّج على إضمار أو، ويحتمل البدل المذكور، وقد خرّج

(1) يُنظر : ديوان الأعشى 74/63 ، 8/105 ، 5/355 ، وقارن بظهوره مثلا مع إمكانية حذفه في الموضع34/243 من الديوان ، والرقم على يمين الخط المائل لرقم الصفحة ، والأخر لرقم البيت .

(2) البيت بديوان الحطيئة ، ص 19 ، من البسيط ، وامرأ : يعني نفسه ، ورمل يبرين : قرية بالبحرين .

على ذلك آيات، إحداها ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾[1] أى ووجوه عطفًا على ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾[2] ، [3] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ حذف حرف العطف قد يُقصد به حذْفُه بين المتغايرين ، أو في مقام تعداد صفات من غير نظرٍ إلى جمعٍ أو انفراد ، أو في مقام الخبر المتعدّد في اللفظ والمعنى ، ومن اللافت للنظر أنّ رحلة ابن رُشيد قد خلت من النوع الأول ، وبدا حَذْف حرف العطف في مقام تعداد الصفات ، وفي مقام الخبر المتعدّد في اللفظ والمعنى واضحًا .

ومن ذلك قوله : " وكان شيخنا جيّد الفكر ، حاضر الذِّهن ، وكان أيام طَلَبِه مصروف العناية إلى الدراية ، ولكن مع ذلك لم يخلُ من السماع والرِّواية "[4]. وفي حديثه عن مكانٍ ، يُسمّى (بُصرى) ببلاد الشام قال : " فوافيناها بعد صلاة الجمعة في يوم الخامس عشر من شوال ، ورأيناها بلدًا مُحْكَمَ الأسوار ، قديم الآثار ، أبواب دوره من منحوت الأحجار "[5] .

فقوله(جيِّد الفكر) خبر (كان)، ثُمّ تعدد الخبر في اللفظ والمعنى (حاضر الذِّهْن) ؛ ومن ثَمّ يجوز فيه العطف ، لكن ابن رُشَيدٍ اختار إسقاط حرف العطف ،وهو ما ينسحب على قوله :(ورأيناها بلدًا مُحْكَمَ الأسوار) ، فقد تعدد الوصف ، فوصف بالمفرد (قديم الآثار)،ووصف بالجملة الاسمية (أبواب دوره من منحوت الأحجار). وذلك مرجعه – فيما أرى – إلى استيلاء الإخبار والوصف على لُبِّ ابن رُشَيْدٍ ؛ ومن ثَمَّ استغراقه فيما

(1) سورة الغاشية ، الأية 8 .

(2) سورة الغاشية ، الأية 2 .

(3) مغنى اللبيب ص831 .

(4) ملء العيبة 2 / 86 ، وعلى ذِكر الرواية أشير إلى إشارات ابن رُشيد المتعددة لتعدُّد الرواية في النصوص ، نحو 2 / 193 ، 407 .

(5) السابق 5 / 3 ، وينظر 5 / 10 ، 14 .

يصف وانفعاله، فحذف الواو اعتمادًا على الناحية النفسية، أي (الرباط النفسي) ، وترك الرباط المادى (الواو) ، وهو ما ينسحب على الشعر والقصة القصيرة ، يقول أستاذي الدكتور محمد حماسة : "الشعر لغة انفعالية ، لا تأبه كثيرًا لوسائل الربط اعتمادًا على الرباط النفسي . وما يزال الشعراء ، وكتاب القصة القصيرة لا يحفلون بحرف العطف فيما يكتبون، وهنا يصح رأى ابن مالك[1] والسيوطى ، إذ يجيزان حذفها فى الأصح لورود الحديث والنثر بذلك، خلافًا لابن جنيّ والسُهيلى وابن الضائع" [2] .

وبناءً على ما سبق ، فإنّي لست مع ابن جنى فى وصفه لحذف حرف العطف بالشذوذ ، فى سياق تعليقه على قول ابن الأعرابى :

وَكَيْفَ لاَ أَبْكي عَلَى عِلاَّتي   صَبَائِحِي غَبَائقي قَيْلاتِي

فقد قال: "وهذا كله شاذٌ ، ولعلّه جميع ما جاء منه"[3] .

وممّا يدلُ على تعليلنا لهذا الحذف أنّه حين يكون سياق الوصف ممّا يعبِّر عن الرَّوية والأناة والصبر وغير ذلك ممّا يحتاج إلى طُول وقت ، فإنّ ابن رُشَيد لا يلجأ إلى حذف حرف العطف ، ودليل ذلك أنّه بعد أنْ خرج ومَنْ معه من الحِجْر (حجر ثمود) ، بين الشام والحجاز ، شاهدوا في صبيحته – على حدِّ قول ابن رُشَيد – من عجائب صُنْع الله ما يقف فيه الطرف ، ويُحار في الوصف من الدور المنحوتة في الجبال ، المحكمة

(1) يُنظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص62-63 ، ولغة الشعر "دراسة في الضرورة الشعرية" ص250 .

(2) لغة الشعر "دراسة في الضرورة الشعرية ص250 ، ويُنظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ص274-275 .

(3) الخصائص1/291-292 .

الصنعة ، البديعة الإتقان ، الفارهة النَّقْش[1] ، إلى أنْ قال : " وأثناء هذه الأرض المحجورة جبالٌ صغارٌ ، فيجيئون إلى تلك الجبال الصغار فيمسحون وجه الجبل بالنجارة ، ويُحكمون تسويته بالنحت ، ويفتحون فيه أبوابًا ، وينقشون جوانبها وأعاليها بأبدع الصنعة ، ثُمّ يتّسعون في نَقْر الجبل قبالة الباب ، وعن يمينه ويساره ، ويصنعون فيه بيوتا "[2] . فلمّا كان ابن رُشَيْدٍ في سياق الحديث عن البيوت المنحوتة في الجبال لم يحذف حرف العطف قبل الجمل ، فمَسْح الجبل يستغرق وقتًا،وكذلك تسويته بالنحت ، وفتْح الأبواب به ، ونقْش جوانبها وأعاليها بأبدع الصنعة ، وغير ذلك ممّا لا يخفى على أحد ، ممّا يحتاج إلى رَوِيَةٍ وأناة .

القضية الثانية– الإحلال :

الإحلال في الاصطلاح يعنى : استبدال عنصر بآخر وإحلاله محلّه ، سواء أكان هذا العنصر اسمًا أم فعلاً أم حرفًا[3] ، ويتصل بالحذف ، حيث إنَّه فى بعض الأحيان يتم حذف عنصر ما من عناصر الجملة وإحلال آخر محله كما فى قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[4] ، وهذا ما تعارف عليه المحدثون بالإحلال **Replacment** ، وهو الأمر الذى يؤدى إلى بعض التغيير سواء أكان تغييرًا مرتبطًا بالتركيب أم بالدلالة . ومن هذا التعريف الاصطلاحى للإحلال يمكن القول: إن المحدثين قد جعلوا الإحلال أحد عناصر التحويل– فى علم اللغة التوليدى التحويلى– التى تدخل الجملة "مدللين بهذه

(1) يُنظر : ملء العيبة 5 / 14 .

(2) ملء العيبة 5 / 14 ، ويُنظر 5 / 17 ، 72 .

(3) See : A- An introduction to transformational Grammar, p.74.

(4) سورة يوسف ، الآية 82 .

الجوانب التحويلية ، ومنها الإحلال على أنَّ التحويليين لم يرفضوا التقدير أساسًا، فهم يشيرون فى كتاباتهم دائمًا إلى الحذف والزيادة وإعادة الترتيب وغير ذلك ، وإشارتهم تلك تلتقى مع إشارات القدماء من النحويين العرب"[1] .

أمَّا عن الإحلال فى علم اللغة النصى Text linguistics ، فإنَّ علماء هذا العلم قد عبَّروا عن ذلك عند حديثهم عن المرجعية أو الإحالة القبلية بمصطلح Anaphora ، وذلك صدد الحديث عن إحلال المضمر محل الظاهر، ومعنى مصطلح Anaphora هو " استعمال كلمةٍ أو عبارةٍ تشير إلى كلمة أخرى أو عبارةٍ أخرى سابقة فى النص أو المحادثة. على سبيل المثال : محمد ركب الدراجة ، لكن عليًا لم يركبها، فالضمير "ها" يشير رجوعًا إلى "الدراجة"، وبهذا أبدل الاسم بالضمير"[2]. وبناءً على ما سبق فإنَّ الإحلال عند التحويليين والنَّصِّيين يعنى استبدال عنصرٍ بآخر وإحلاله محله ، غير أنَّ النَّصِّيين جعلوا المرجعية أو الإحالة ولا سيما بين الضمير والاسم الظاهر من أدوات التماسك النَّصِّيِّ"[3] .

هذا ، وقد طُبِعَت رحلة ابن رُشَيدٍ بملاحظ الإحلال ، سواءٌ أكان ذلك في أسلوبه أو في تعليقه على النصوص ، نحو المبني للمجهول ، وإحلال الظاهر محل المضمر ، وإحلال المضمر محل الظاهر ، و إحلال المصدر المؤول محل المصدر الصريح ، إحلال المصدر الصريح محل المشتق ،

---

(1) قضايا التقدير النحوي ص180، 189-190 بتصرف ، ويُنظر: أصول النظرية التوليدية التحويلية في النحو العربي ص15 .

(2) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق1/38 ، 2/29 .

(3) يُنظر: أ- علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق1/116-121 .
B-Cohesion in English, p.40.
جـ - القضايا التركيبية في شعر الأعشى ص 18 – 20 .

وإحلال الأفعال فيما بينها ، وإحلال الحروف فيما بينها[1] ، وفيما يلي عرضٌ لنمطين من هذا الإحلال :

1- إحلال المصدر المؤوّل محل المصدر الصريح :

يُعدُّ من إحلال المصدر المؤول محل المصدر الصريح ما جاء في قوله: " قلتُ والله المُرشِد : مثل هذا المسلسل ينبغي أنْ يُعتمد عليه وتُشدُّ اليد له ، ويُرغبُ في اتصال سَنَده وبركته "[2] . فالمدقِّق في نصِّ ابن رُشَيدٍ يجد أنْ بنيته الأساسية هي : ينبغي الاعتماد عليه ، وشدُّ اليد إليه ، والرغبة في اتّصال سَنَدِه ، لكنَّ هذه الجملة قد دخلها عنصر تحويل بإحلال المصدر المؤول محل المفرد ، ولا ضير في ذلك ، قال سيبويه : "تقول أنْ تأتينى خير لك ، كأنك قلت : الإتيان خيرٌ لك ، ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[3] وقال الشاعر عبد الرحمن بن حسان :

إنِّى رَأَيْتُ مِنَ المَكَارِمِ حَسْبَكم أنْ تَلْبسوا حُرَّ الثِّيَابِ وتَشْبَعُوا

كأنه قال: رأيت حَسبكم لُبْس الثياب"[4] .

والملاحظ من قول سيبويه أنَّ المصدر المؤول (أنْ تأتيني ، أنْ تصوموا ، أنْ تلبسوا) قد حلَّ محلَّ المصدر الصريح (الإتيان-الصوم-اللبس) متخذًا موقعه الإعرابي ، ويعضد ذلك تعليق الدكتور حماسة على قول سيبويه بقوله : " فالجملة (أنْ تأتيني خيرٌ لك) جملةٌ اسميةٌ مكونةٌ

---

(1) يُنظر : ملء العيبة 2 / 93 حيث ذكر مثالا لغير الصحيح نحويًا فيما يتصل بإحلال حروف الجر .

(2) ملء العيبة 2 / 362 ، ويُنظر 2 / 374 ، 5 / 73 .

(3) سورة البقرة ، الآية 184 .

(4) الكتاب 153/3 ، والبيت من الكامل .

من مبتدأ هو (أن تأتيني) (أن+ فعل مضارع " تأتى " + نون الوقاية + ياء المتكلم) وهذا كلُّه مؤوّل بـ"الإتيان" ، ويعامل في التحليل معاملة "الإتيان"، ومصطلح "المصدر المؤول" يشير بوضوح إلى المعنى العميق الذي يتحول عنه المصدر المؤول ، فاللفظ في ظاهره فِعلٌ مع كلٍّ ما يتعلق به من فاعلٍ ومفعول به ، ويكون مضافاً إليه... إلخ . وهذا لا يتحقق إلا إذا كان هذا المركب محوّلاً عن "اسم= مصدر" ، يصلح لأنْ يكون واحدًا من هذه . والتحويل الذي يتم فيه يقوم على زيادة الحرف المصدريّ واستبدال الفعل بالمصدر، ثم يستوفى الفعل معمولاته من فاعل ومفعول به إنْ كان متعديًا "(1) .

نأتي بعد ذلك إلى بيان الهدف الذي يهدف إليه ابن اللغة بإحلاله المصدر المؤول محل المصدر الصريح ، فنجد أنَّ الاسم يفيد الثبوت ، وهو ما تصبو إليه الجملة الاسمية ، أمّا الفعل ، فإنَّه يفيد الحركة والاستمرار والحدوث ، وهو ما تصبو إليه الجملة الفعلية ؛ لذا فثبوت الحقائق يتطلب التعبير بالاسم ، أي أنَّه "برغم أنَّ البنية المقدرة توجّه التحليل النحوي، نجد أنَّ البنية الظاهرة تفيد معنًى لم يكن ليتحقق مع غيرها، ففي الآية: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ مع أنَّها مقدرةٌ بـ"الصوم" تضيف معنى آخر آتيًا من صيغة الفعل وإسناده إلى واو الجماعة ، إذْ تفيد التجدُّد والحدوث والتكرار والمداومة على خلاف ما إذا قيل "الصوم خير لكم" ؛ لأنَّ "موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أنْ

(1) من الأنماط التحويلية في النحو العربي ص53 ، ويُنظر: بناء الجملة العربية ص270 ، 286-287 ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص 147 – 151 .

يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئًا "(1) كما يقرر عبد القاهر، وهذا يؤكِّد أنَّ البنية السطحية تشترك مع البنية العميقة في إمداد الجملة بدلالتها ، فالتحويل في العربية ليس وسيلةً تفسيريةً فحسب لبنية الجمل، ولكنه مكوِّنٌ مهمٌّ من مكونات دلالة الجمل والتراكيب"(2) .

وهذا ما يتضح عند ابن رُشَيد ، ففي نصِّه السابق يتضح أن التعبير بالفعل يفيد أنَّ هذا مسلسل سَنَد الحديث المُتحدّث عنه ينبغي تجدُّد وتكرار الاعتماد عيه ، وشدّ اليد له ، والرغبة أيضًا في سنده وبركته ؛ وبناءً على هذا تتضح الغاية الدلالية من إحلال المصدر المؤول محل المصدر الصريح ، وهى التجدُّد والاستمرار والحدوث والتكرار، وذلك ظاهر جليٌّ من خلال قول ابن رُشيد ، ممّا ذُكِر هنا ، وما لم يُذْكر .

2 – مرجعية الضمير :

لمّا كان الضمير هو ما وضع لمتكلمٍ أو مخاطبٍ أو غائب ، أي أنَّه يُستعمل بدلاً من الاسم ، فإنَّه يُعَدُّ أحد صور الإحلال في التراكيب النحوية، رغبة في جنوح العربية إلى الإيجاز، سواءٌ أكان الضمير متصلاً أم منفصلاً ، مع ملاحظة أنَّ استعمال المتصل أكثر من المنفصل . ويظهر ذلك واضحًا في القرآن الكريم ، فشاهده آية سورة النور، التي اشتملت على خمسة وعشرين ضميرًا في قوله تعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾(3) ، حيث يقول عنها مكي: " ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها ، فإنَّ فيها خمسةً وعشرين ضميرًا "(4) .

(1) دلائل الإعجاز، ص174 ، ويُنظر : الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية ص 347 – 348 .
(2) من الأنماط التحويلية في النحو العربي ، ص 53-54 .
(3) سورة النور، الأية 31 .
(4) الإتقان في علوم القرآن2/ 281 ، ويَنظر: مرجع الضمير في القرآن الكريم ص 9 ، وقضايا التقدير النحوي ص389-390 ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير ص 158 وما بعدها .

وتجدر الإشارة إلى أنّ إحلال المضمر محل الظاهر–أو ما يُسمّى بمرجعية الضمير – يتصل بما يسمى عند النصيين بالبنية الإحالية في النصوص أو قضية الإشارة والإحالة في الكلام ، وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا الأمر قد نال اهتمام النحاة والبلاغيين وعلماء اللغة ، فهي " ظاهرة تقع في أساس كلّ منظومة فكرية . فاللغة نفسها نظامٌ إحاليٌّ ، إذ يحيل على ما هو غير اللغة ، وهي نفسها تشتمل على نوعين من العناصر:إشارية وإحالية ، وهما وجهان لابدّ من النظر فيهما عند دراسة الدلالة اللغوية ، إذ هما أساسها ، وقد درس اللسانيون والمناطقة هذه الناحية ، ونظروا فيها من حيث اتصالها بالمقام ، لكنهم لم يتجاوزا فيها مستوى الجملة ... وتتسم دراسة النصوص قصد إقامة النحو الذي يحكمها بأهمية بالغة في بيان كيفية عمل المضمرات فيها من حيث الربط والدلالة "[1] .

وممّا جاء في رحلة ابن رُشَيد بهذا الخصوص قوله:" نا الفقيه أبو الفقيه أبو إسحاق الفاسي قراءة منّي عليه بمنزله شرقي مسجد النبي– صلّى الله عليه وسلم – قال :نا أبو عبدالله محمد بن أبي البركات بن حَمْد الهمذاني ، نا أبو الوقت ، نا أبو الحسن بن المظفّر،نا أبو محمد حمّويه ،نا الفربري ، نا البخاري ، نا المكّي بن إبراهيم ، نا يزيد بن أبي عبيد ،عن سلمة ،قال : " كنّا نصلّي مع رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – المغرب إذا توارت بالحجاب " . قوله : إذا توارت يعني الشمس ، ولم يجرِ لها ذِكْرٌ ، لكنّه اعتمد على فهم السامع ، وكذلك هو في القرآن الكريم ، ونظيره :﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾[2] و﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ "[3] .

(1) نسيج النص ص115 .
(2) سورة النحل ، من الآية 61 .
(3) ملء العَيبة 5 / 39 ، والآية بسورة القدر ، الآية 1 ، و (نا) تعني حدّثنا .

فبعد أنْ ذكر ما رُوي عن سلمة علّق عليه بقوله : " قوله : (إذا توارت) يعني الشمس ، ولم يجرِ لها ذِكْرٌ ، لكنّه اعتمد على فهم السامع، وهو ما يُفهم منه إشارة ابن رُشَيد إلى أنّ الفعل (توارت) مسندٌ إلى ضميرٍ مستترٍ ، تقديره : هي ، يعود على مرجعٍ محدَّدٍ غير صريحٍ ، أي لم يجرِ له ذِكْرٌ ، وهو كلمة (الشمس) ، أي أنّ الضمير حلّ محلّ الاسم الظاهر الذي لم يجرِ له ذِكْرٌ (الشّمس) . ولعلّه من المفيد الإشارة إلى أنّه يُقصد بالمرجع غير الصريح " ذلك المرجع المفهوم من الكلام ، والذي يحتاج إلى إعمال الفكر وطول نَظَر، والذي لا يهتدي إليه إلا إنسانٌ نال حظًّا كبيرًا من الثقافة ، وطال تمرُّسه بالتراكيب العربية والمقامات التي قيلت فيها ، وما يطرأ عليها من ذِكرٍ وحذفٍ وما إلى ذلك "[1] .

وما كان ذلك الإحلال للضمير محل الاسم الظاهر الذي لم يجرِ له ذِكْرٌ إلا من منطلق سَعْي اللغة العربية إلى الإيجاز ، والاعتماد على فهم السامع – على نحو ما أشار ابن رُشَيد – وهو ما يُصْطلح عليه في علم اللغة النّصّيّ بالإضمار لمرجعٍ متصيد EXOPHORA ، أي " الإتيان بالضمير للدلالة على أمرٍ مّا غير مذكورٍ في النص مطلقًا ، غير أنّه يمكن التعرُّف عليه من سياق الموقف "[2] .

أضف إلى ذلك أن الضمير الذي حلّ محل الاسم الظاهر مؤدّيًا الإيجاز قد أدّى وظيفة الربط أيضًا ، وأسهم مع غيره من إحلال الضمائر محل الأسماء الظاهرة في أسلوب ابن رُشَيد في إمكانية وصف هذا الأسلوب بالاعتماد على الإيحاء ، ولا شكّ في ذلك ، فبعض رواد الأسلوبية يستندون في تعريفهم الأسلوب على الإيحاء، فيعرّفونه "بأنّه مجموع

(1) مرجع الضمير في القرآن الكريم ص12-13 وما بعدها ، ويُنْظر: مرجع الضمير وأثره في اختلاف القراءات القرآنية ص772 وما بعدها .
(2) النص والخطاب والإجراء ص301 ، ويُنْظر: تقابلات الحداثة في شعر السبعينيات ، ص65 ، 66 .

الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي ، وذلك أنَّ الذي يُمَيِّز هذا الخطاب هو كثافة الإيحاء وتقلص التصريح، وهو نقيض ما يطرد في الخطاب العادي أو ما اصطلحنا عليه بالاستعمال النفعي للظاهرة اللغوية ، والحقيقة أنَّ الطاقة الإيمائية في اللغة لا يمكنها أنْ تستقل بذاتها ، إذْ قد يكون تصريح بلا إيماء، ولكن يتعذر الإيماء بلا تصريح، ولعل ماهية الأسلوب تتحدد بنسيج الروابط بين الطاقتين التعبيريتين في الخطاب الأدبيّ ، طاقة الإخبار وطاقة التضمين"[1] .

القضية الثالثة: إعادة الترتيب :

تَعدُّ قضية إعادة الترتيب "الرتبة" من القضايا التى اهتم بها القدماء والمحدثون على السواء ، سواءٌ أكانوا من العرب أم من غيرهم ، وفيها تخرج الجملة عن الترتيب المألوف فى أحيان كثيرة لغرضٍ دلاليٍّ مّا أو لفظيٍّ ، ممثِّلةً أحد جوانب الاتساع فى الدرس النحويّ ، بالإضافة إلى كونها إحدى قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين .

وتتصل هذه القضية اتصالاً وثيقاً بمصطلحى التقديم والتأخير لدى اللغويين وكذلك الفصل[2] – مع مراعاة الفرق بينه وبين الاعتراض الذى عده ابن السراج من أنماط الزيادة وعددناه من وسائل استطالة الجملة– وتدخل الجملتين الاسمية والفعلية على السواء [3] ، وفيما يلي تمثيلٌ لهذه القضية عند ابن رُشيد ، من خلال التقديم والتأخير والفصل :

---

(1) الأسلوبية والأسلوب ص95-96 ، ويُنظر: الأسلوب وعلم الأسلوب ص40-46 ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص 158 – 170 .

(2) يُنظر: قضايا التقدير النحوي ص299-320 ، اللغة وبناء الشعر ص48-49 .

(3) الكتاب1/55-56 ، ويُنظر المقتضب4/88-91 وهامش 3 ص 90 من الجزء نفسه ، والأصول في النحو2/222-247 ، والخصائص2/384-391 ، وتحصيل عين الذهب ، بهامش كتاب سيبويه1/38، والتراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه ص111 وما بعدها .

1 – التقديم والتأخير :

التقديم والتأخير كما يرى عبدالقاهر: "باب كثير الفوائد ، جمُّ المحاسن واسع التصرُّف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويفضى بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أنْ قُدِّم فيه شيءٌ وحُوّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان ، واعلم أنَّ تقديم الشيء على وجهين : تقديم يقال إنَّه على نية التأخير ... وتقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أنْ تنقل الشيء عن حُكْمٍ إلى حُكْم، وتجعله بابًا غير بابه وإعرابًا غير إعرابه ، وذلك أنْ تجيء إلى اسمين يحتمل كلُّ واحدٍ منهما أنْ يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرًا له، فتقدِّم تارةً هذا على ذاك وأُخرى ذاك على هذا "[1] . وقد ورد التقديم والتأخير في أسلوب ابن رُشَيد كثيرًا ، نحو تقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم المفعول به على الفعل ، وتقديم متعلق الفعل ، وغير ذلك[2] ، ويمكن التمثيل لذلك من خلال العرض لِما يلي :

أ– تقديم الخبر شبه الجملة :

ورد الخبر شبه جملة عند ابن رُشَيد محتملاً التقديم والتأخير فى حالة كون المبتدأ معرفة أو نكرة لها مسوغ آخر سوى تقدم شبه الجملة وذلك نحو قوله: " ذِكْر نُزْهةٍ جمعتنا بتونس ، عند قدومنا عليها ، جمَعَتْ جَمْعًا من فضلاء الأدباء ، وسراة الحسباء البلغاء ، في بعض بساتين تونس

---

(1) دلائل الإعجاز ص106- 107 ، ويُنظر: المغنى في أبواب العدل والتوحيد 16 /197، واللغة العربية والحداثة ص140 للدكتور تمام حسان ، والأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ص310-326 .

(2) يُنظر : مِلء العَيْبة : 2 / 83 ، 90 ، 252 ، 295 ، 313 ، 364 ، 385 ، 409 ، 5 / 7 ، 5 / 22 ، 5 / 127 .

البديعة ، ومصانعها الرفيعة ... منهم رفيقنا الوزير الفاضل الحسيب الماجد أبو عبد الله ابن الوزير أبي القاسم الرندي "[1] .

فقوله :(منهم رفيقنا) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ، صورة نمطها : خبر "جارٌ ومجرورٌ" + مبتدأ " مُعرَّف بالإضافة " ، وبنيتها الأساسية : رفيقنا الوزير الفاضل... منهم ،أي أنَّها مبتدأٌ وخبر ،وبذلك يكون قد دخلها عنصر تحويل ، بتقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ جوازًا لغرض دلاليّ ، وهو أنَّه لمَّا كان في سياق الحديث عمَّن جمعتهم هذه النُزهة بتونس أراد التأكيد على أنَّ من الحاضرين الوزير الفاضل الحسيب الماجد أبا عبد الله ابن الوزير أبي القاسم الرندي ؛ومن ثَمَّ قدَّم الخبر.

<u>ب – تقديم متعلق الفعل</u>

يشير الواقع اللغوي إلى أنَّ الأصل في ترتيب متعلق الفعل هو أنْ يكون بعد الفعل ، لكن هذا المتعلق – سواءٌ أكان ظرف زمانٍ أو مكانٍ أم جارًّا ومجرورًا – قد يتقدم على الفعل لغرض دلاليٍّ مَا، نحو قوله تعالى:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[2] ، وقد شاع تقديمه عند ابن رُشَيد ، نحو قوله عن الأشعريّ: "الفقيه الصالح المحدّث الخير الأديب الأبرع أبو العباسِ أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي . انتقل منها صغيرًا ، أظنُّه ابن اثنتي عشرة سنة مع أبيه – رحمه الله – فنزل تونس ، وبها قرأ وتعلَّم ، وتفقَّه وتأدَّب "[3] .

فإذا كان ابن رُشَيد لم يلجأ إلى تقديم متعلق الفعل في قوله : (انتقل منها صغيرًا)[4] ، فإنَّه في قوله : (وبها قرأ وتعلَّم) نلاحظ تقديمه الجارَّ والمجرور متعلِّقًا بالفعل (قرأ) ، حيث إنَّ البنية الأساسية هي : قرأ بها ،

---

(1) السابق 2 / 385 ، ويُنظر : 2 / 252 ، 5 / 7 ، 5 / 22 .
(2) سورة طه ، الآية 55 ، ويُنظر: الأصول في النحو2/246 .
(3) مِلء العَيْبة : 2، / 409 .
(4) يُنظر أيضًا الموضع 5 / 11 من مِلء العيبة ، وغيره من المواضع .

وتعلَّم بها ، وقد دخلها عنصر تحويل بتقديم الجارِّ والمجرور ؛ لبيان المصدر والمكان الذي قرأ به الأشعريّ ؛ لذا فإن تقديم المتعلق هنا يمثِّل أهميةً لدى الكاتب أراد الإعلام عنها بالتقديم حيث كان الأشعري يتعلَّم ويقرأ بهذا المكان .

والجدير بالذكر أن تقديم المتعلق في حالة كونه جارًّ ومجرورًا أو ظرف مكان أو زمان يفيد التركيز على المكان أو الزمان الذي وقع فيه الفعل ؛ لذلك يعتمد بناءُ الجملة " في ترابط الفعل مع المفعول فيه على وقوع الحدث الذي يدلُّ عليه الفعل فيه، سواءٌ أكان "المفعول فيه" أم "الظرف وهما بمعنى واحد ؛ ولذلك أيضًا اشتُرِط أنْ يكون الاسم الذي يشغل وظيفة المفعول متضمنًا معنى (في) وهي حرف الجرِّ الذي يفيد الظرفية بالمعنى اللغوي ، على أنْ يكون هذا المتضمن مطردًا . ويكاد ينصرف مفهوم التعلُّق في التحليل النحوي إلى تعلُّق الظرف والجارِّ والمجرور بالفعل أو ما فيه معناه "[1] .

<u>2 – إعادة الترتيب باستخدام الفصل :</u>

يُعَّرف الفصل فى اللغة بأنَّه الحاجز بين الشيئين[2] ، وفى الاصطلاح بأنَّه الفصل بين المتلازمين بما دون الجملة أو بجملة غير أجنبية[3] ، ويؤدِّى الفصل دورًا مهمًّا فى قضية إعادة الترتيب ، حيث إنَّ النحاة قد تناولوه ضمن القضايا التى تدخل الجملة ، سواءٌ أكانت فعليةً أم اسميةً . ويلاحظ أنَّه يكون بعنصر ليس ركنًا من أركان الجملة ؛ لأنَّه إذا كان ركنًا من أركانها لا يُعَدُّ فصلاً، بل يعدُّ من قبيل تقديم الكلام بعضه على بعض. وإذا كان "الفصل يمكن دراسته فى ضوء وضع كلِّ كلمةٍ فى موقعها

---

(1) بناء الجملة العربية ، ص122- 123 .
(2) المخصص 13/164 .
(3) يُنظر: اللغة والحداثة ص140 .

الصحيح الذى يترتب عليه الحصول على المعنى"[1]، فإنّ عدم وضعها فى مكانها الصحيح يترتب عليه وجود تراكيب غير صحيحة نحويًا[2] ، وهو الأمر الذى دعا دى بوجراند إلى اعتبار الفصل من عناصر الترابط فى البناء السطحى[3] . وإذا كان الفصل النحوى يكون بين المتلازمين، نحو المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والنعت والمنعوت...إلخ بجملةٍ غير أجنبيةٍ أو بما دونها ، فإنّ الاعتراض أو ما يسمى بالفصل البلاغى يكون بجملةٍ أجنبيةٍ[4] .

وثمة مواضع لا يجوز فيها الفصل فى الجملة، وإن ورد فى بعضها فلضرورة الشعر –على حد قول ابن عصفور أو لغة الشعر كما أودُّ تسميتها–[5] ، نحو الفصل بين صيغة المبالغة وما عملت فيه والفصل بين العامل والمعمول بحرف الاستفهام وبين المضاف والمضاف إليه وبين لا والمنفى وبين الفعل المضارع ونواصبه وجوازمه وبين الجارّ ومجروره.هذا ، وقد طُبع أسلوب ابن رُشيد بإعادة الترتيب باستخدام الفصل ، في الجملة الاسمية ، مجردةً ومنسوخة ، وكذلك الجملة الفعلية ، في مواضع كثيرة من رحلته[6] ، نذكر منها النمطين التاليين :

[1] قضايا التقدير النحوي ص312 .

[2] يُنظر: أ.التراكيب غير الصحيحة نحويًا فى الكتاب لسيبويه ، ص126-134 .

B-Bach: An introduction to Transformational Grammar,p.11,12.

[3] يُنظر: النص والخطاب والإجراء ص341 .

[4] يُنظر :الخصائص1/331-332 ، 338 ، والبيان في روائع القرآن ص176، وبناء الجملة العربية ص70 ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص 324 – 325 وما بعدها ، والجملة الاعتراضية في التركيب النحوي "مواضعها وأحكامها ص128 وما بعدها ، وقارن بما ورد في : وظائف الاعتراض وأساليبه ص 22 – 69 .

[5] يُنظر: ضرورة الشعر ص192 وما بعدها ،وملء العَيبة 2 / 83 ، 85 ، 191 ، 204، 209 ، 246

[6] يُنظر : ملء العَيبة :2/ 196 ، 292 ، 377 ، 5 / 7 ، 11 ، 86 ، 87 ، 129 ، 158 .

أ – الفصل بين الخبر شبه الجملة المقدّم والمبتدأ المؤخر بالجارّ والمجرور والنعت :

مثال هذا النمط ما ورد في قول ابن رُشَيد ، صدد حديثه عن الخروج من وادي الأزرق إلى تبوك : "وأقَمنا هناك بقية يومِ الجمعة إلى ظُهر يوم السبت الثامن لذي قعدة ، ورحلنا من هناك .ومن تبوك يرفع الماء إلى العُلى ، وما بينهما أشقّ شيءٍ في الطريق ،وأقلّه ماءً...وفي ذلك الطريق في مواضع منه عديدة بصائط كثيرةٌ ، فيها حصى أبيض رائق كثير الصفاء والبريق ،في لون البَلّور،كأنّه حبُّ اللؤلؤ لصفائه وحُسنه"[1] .

فقوله : (في ذلك الطريق في مواضع منه عديدة بصائط كثيرةٌ) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، صورة نمطها : خبر مقدّم " جار ومجرور " + جار ومجرور مكرر+ نعت + مبتدأ مؤخَّر، ومن خلال هذه الصورة يتضح لنا الفصل بين ركنى الجملة بالجارّ والمجرور والنعت ؛ لبيان أنّ هذا الطريق – على وجه الخصوص – به أكثر من موضعٍ ، يحتوي على بصائط كثيرةٌ ، فيها حصًى أبيض رائق كثير الصفاء والبريق ، في لون البَلّور،كأنّه حبُّ اللؤلؤ لصفائه وحُسنه ؛ ومن ثَمّ التأكيد على هذا المعنى، أى أنّ ابن رُشَيد باستعماله للجارّ والمجرور هنا يريد توجيه المتلقى إلى أفق مكانيٍّ ، أى توجيه التلقي وجهته المكانية ، وهنا تكون إشارة حرف الجرّ مُحَرِّكَةً لتوقُّع المتلقي حتى إنّه يصبح من المألوف المتكرِّر أنْ يجد بعد حرف الجرّ اسمًا يشير إلى مكان مّا متبوعًا بالنعت ، وهو المواضع العديدة من هذا الطريق[2] .

[1] ملء العَيبة : 5 / 11 .

[2] يُنظر: إستراتيجية المكان ص358 .

ب – الفصل بين الفعل والفاعل من جانب والمفعول به من جانب آخر بالظرف :

مثال هذا النمط ما ورد في قول ابن رُشَيد ، صدد حديثه عن لقائه أبا محمد المرجاني والتوجُّه معه إلى عرفات : " ولقينا هنالك الشيخ الزَّاهد الفاضل العامل الفقيه أبا محمد المرجانيّ ، نفع الله به ، الواصل معنا من تونس في المركب "[1] .

فمن خلال هذا النَّص يتضح لنا أنَّ قوله: (لقينا هنالك الشيخ) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ذات فعلٍ متعدٍ إلى مفعول به واحد ، صورة نمطها : فعل + فاعل + ظرف + مفعول به ، والبنية الأساسية هى: لقينا الشيخ هنالكِ ، أى أنَّ ابن ابن رُشَيدٍ فصل بين الفعل والفاعل من جانب والمفعول به من جانب آخر بظرف المكان ؛ للتأكيد على مكان الحدث المستفاد من الفعل "لقي" ، أى أنَّ ابن رُشَيدٍ لقي الشيخ الزَّاهد الفاضل العامل الفقيه أبا محمد المرجانيّ في ذلك المكان دون غيره .

وهنا أشير إلى أنَّ المقلِّب لكتاب (مِلء العيبة) سيجد أنَّ ابن رشُيدٍ قد أكثر من استخدام الفصل فى السياق الدال على الأحداث ، أى الدال على الحركة ؛ لبيان أمرٍ مّا يتعلق بالحدث المستفاد من الفعل ، وقلّة استخدامه للفصل فى حالة الثبات والاستقرار المفهوم عادة من الجملة الاسمية ؛ ومن ثَمّ فإنَّ في هذه الإشارة ما يغني عن إعادة الحديث عن إيثار ابن رُشَيَد التعبير بالجملة الاسمية في بعض المواضع ، ممّا يتصف بالاستقرار والثبات ، وإيثاره التعبير بالجملة الفعلية في مواضع أُخر ، ممّا يتصف بالتجدُّد والحركة – مع غلبة التعبير بالجملة الفعلية لدى ابن رُشيد – مكتفيًا بالإحالة على أمثلة لها[2] ، مشيرًا إلى أنَّ " الحيوية من صفات الجملة التي

(1) مِلء العَيْبَة : 5 / 86 .
(2) يُنظر : مِلء العَيْبَة : 2 / 253 ، 295 ، 304 ، 328 .

يستخدمها الرّحال ، بحيث يستشعر القارئ الحركة المتتالية خلالها ؛ ولذلك يُلاحظ أنَّ الأفعال الدالة على الحركة لاتكاد تخلو منها جملة ، وهذا يعود إلى طبيعة الرِّحلة المعتمدة على الحركة ؛ ومن ثمَّ فإنَّ نقْل هذه الحركة من أرض الواقع إلى حيث دفتا كتاب يصبح أمرًا ضروريًا "[1] . وهنا أستدعي قول القائل : " تقتضي العقلية العربية أنْ تكون الجملة الفعلية الأصل والغالب الكثير في التعبير ؛ لأنَّ العربي جرت سليقته ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، وهي التي لا يريد فيها أنْ ينبّه السامع إلى الاهتمام بمَن وقع منه الحدث أو التي لا يهتمُّ هو فيها بمَنْ وقع منه الحدث ، فالأساس عنده في الإخبار أنْ يبدأ بالفعل "[2] .

القضية الرابعة : قضية الإعراب :

كان من الممكن أنْ يتضمن هذا الجزء من المبحث الحديث عن إعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب – بجانب الترخُص في العلامة الإعرابية، والوجوه الإعرابية وترجيحها ، وهما ممّا وجدَت لهما ملاحظ عند ابن رُشَيد[3]– لكنّي آثرت تخصيصه بقسم مستقل بأوّل هذا المبحث ؛ لِمَا لهذا العنصر من أهميةٍ ، تتصل بالمعنى النَّصّيِّ وعدم الانحسار في نطاق تركيب بعينه ، علىٰ الرغم من أنَّ النَّص في مجمله مجموعةٌ من التراكيب ، أمَّا عن النقطتين الباقيتين ، فسأجتزئ بإحداهما – تحجيمًا للبحث– علىٰ النحو التالي :

– الترخُّص فى العلامة الإعرابية :

إذا كانت العلامة الإعرابية تسهم فى ترابط أجزاء التركيب وإحكام بنائه وعدم اللبس فى المعنى المراد ، فإن هذه العلامة قد يُتَرَخّص فيها ،

(1) الرّحلة في الأدب العربي ، ص 76 .
(2) الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية ص 347 .
(3) يُنظر : مِلء العَيْبَة : 2 / 339 وهامش 778 من الصفحة نفسها ، 5 / 126 .

شأنها شأن القرائن الأخرى فى التركيب "بدليل أنَّ استخدام العلامة الإعرابية فى مواقع الترخص يزيل الغرض الذى تسمح فيها من أجله، وإذن فهذا نظام اللغة ولا معدل عن قبول هذا النظام ومحاولة وصفه بدقة.

ومن جانب آخر أودُّ ألاّ يُفهم هذا على أنَّه دعوةٌ إلى إهدار العلامة الإعرابية فى الكلام اعتمادًا على أنَّ الكلام يُفهم بدونها ، فإنَّنى أرى ذلك مقصورًا على المواضع التى ورد فيها فحسب ، وبخاصة فى القرآن الكريم والشعر الذى هو مناط الاستشهاد النحوى، ومؤدى هذا أنَّنا بحاجة إلى محاولة الكشف عن أسرار هذا الترخُّص ومعرفة دلالته ، وهذه دراسةٌأسلوبيةٌ مهمةٌ "[1] .

وإذا كانت العلامة الإعرابية تُسهم فى ترابط أجزاء التركيب، ويتم الترخص فيها فى بعض الأحيان ، فليس معنى ذلك أنَّها غير مهمة يمكن الاستغناء عنها، بل لذلك دلالة معينة، أى أنَّ لها أثرًا فى النصوص ، وهناك فرقٌ بينها فى هذه الحال وبين كونها (أى العلامة) فى الإطار النظرى[2] ومعنى هذا أنَّ الترخُّص "لم يحدث عبثًا أو تلاعبًا ، ولكنَّه يُؤتى به عن قصدٍ وتعمُّدٍ ، بهدف إحداث أثرٍ معيَّن "[3] .

هذا ، وقد تعرض ابن رُشَيد لشيءٍ من ذلك ، في قوله : " فائدةٌ عنَت أذكرها : ذِكْر التقبيل لثمًا دون صوت : حكى لي صاحبنا الشريف أبو عبدالله محمد بن الشريف الفاضل أبي القاسم الحسني ، حفظه الله ، قال : حضرت بمكَّة عند الشيخ محبّ الدين الطبري ، فجاءه مُستَفتٍ ، يسأله عن

[1] العلامة الإعرابية في الجملة ص337-338، ويُنظر: الأصول ، للدكتور تمام حسان ، ص80 .
[2] يُنظر : الشكل والدلالة ، ص51 وما بعدها حيث الفصل الذي عُقِدَ للعلاقة بين الإعراب والدلالة .
[3] العلامة الإعرابية في الجملة ص337 .

تقبيل الحجر . وقال :علّمني السُنَّة في تقبيل الحجر ، يعني أبصوتٍ أم دون صوت؟ فذكر له التقبيل من غير تصويت . فقال : إنِّي لا أستطيع . قال : فأطرق الشيخ ثُمّ ارتجل هذه الأبيات ، رحمه الله :

وَقَــالوا إذا قَبَلْتَ وَجْنَةَ مَنْ تَهْوى   فَلا تُسمِعَن صــوتًا ولا تُعْلِنِ النَّجْـوى

فَقُلْتُ : ومَنْ يملكُ شفاهًا مشوقةً   إذا ظفــرت يومًــا بغايتِهــا القُصْـوى

وهــل يُشْفَــئُ التَّقْبيلُ إلاَّ مُصوّتًا   وهل يبرد الأحْشا سِوى الجهر بالشَّكْوى

هكذا قاله . (وهل يُشْفئُ) فحرّك حرف العلة للضرورة . ولا ضرورة بأنْ يقول : وهل يبرئ وهي رديفة يشفي . وقد أوردنا في هذه المسألة ما فيه كفاية ، وإنَّه ليغني عن رحلة شاسعة "[1] .

ففي هذا النصِّ نلاحظ أنَّ قولَ الشيخ محبِّ الدين الطبري : (وهل يُشْفئُ التَّقْبيلُ إلاَّ مُصوّتًا) جملةٌ إنشائيةٌ فعليةٌ ، كان من المُفترض أنْ يكون الفعل المضارع فيها (يشفي) فعلاً مرفوعًا ، وعلامة رفْعه الضمة المقدرة ، وذلك بإسكان حرف العلة ، لكن مُنْشد الأبيات حرّكه للضرورة ، على حدِّ قول ابن رُشَيْد . ومبعث هذه الضرورة أنَّ البيت من بحر الطويل، ووزنه وتقطيعه هكذا :

وهل يُشْ /فِئُتَّقْبي/ لُ إلاَّ /مُصوّتَن   وهل يبْ /ردُلأحْشا /سِوَلْجَهْ / بشْشكْوى

فعولن / مفاعيلُن/ فعولن/ مفاعلن   فعولن/ مفاعيلن / فعولن / مفاعيلُن

ولو لم يُحرّك حرف العلة لَمَا استقامت تفعيلة (مفاعيلن) الأولى في صدر البيت ؛ ومن ثَمَّ جاز للشاعر تحريك حرف العلَة ، لكنْ ما أودُّ الإشارة إليه هو أنَّ مثل هذه الأمور ممّا يُطلق عليه الضرورة ينبغي التعامل معها على أنَّها من خصائص لغة الشِّعر ؛ ومن ثَمّ طَرْح مصطلح الضرورة جانبًا ؛ لأنَّ للشعر لغته الخاصة ، التي تستلزم مالا يستلزمه

[1] مِلء العَيبة 5 / 125 – 126 .

النثر ، وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا الترخص إذا كان قد وصف من جانب النحاة بالضرورة ، فإنَّ ذلك ينبغى أنْ يُعاد فيه النظر؛ لأنَّهم ما قالوا ذلك إلا لعدم فصلهم بين لغة الشعر ولغة النثر فى التقعيد، فما عالجه النحاة على أنَّه ضرورةٌ ، هو من خصائص لغة الشعر ، والقول بالضرورة ناتجٌ عن خَلْط النحاة بين لغة الشعر ولغة النثر ، فقد رأى أستاذي ، وهو ما أوافقه عليه أنَّ " بعض ما قال عنه النحاة إنَّه " ضرورة " إنَّما هو من خصائص لغة الشعر، والذي دعاهم للحكم عليه بذلك هو الخلط بين مستوى الشعر والنثر في التقعيد ، وأنَّ مصطلح " الضرورة " لا يدلُّ على مدلوله الحقيقي عن طريق التنظير بما في القراءات القرآنية والحديث النبوي والاستعمالات النثرية المختلفة ، وأنَّ هذا المصطلح أوجدته ظروف المنهج المعياري الذي اتبعه النحاة ، بالإضافة إلى الأسباب الأخرى... وأنَّ بعض ما قيل عنه إنَّه ضرورةٌ يمكن أنْ يكون آثارًا لهجية لمرحلة سابقة من مراحل تطور اللغة . كما أنَّ بعضها يُعَدُّ جذورًا تاريخيةً لاستعمالات لهجية معاصرة . وأنَّ عدم تنبُّه النحاة لتطور اللغة هو الذي دفعهم للحكم عليه بأنَّه ضرورةٌ "[1] .

فبقليلٍ من التفكير ندرك أنَّ " وجود نظيرٍ له في القرآن والحديث يخرجه عن الضرورة ، ووجوده في لهجةٍ من اللهجات يخرجه أيضًا عن إطار الضرورة اعتمادًا على ما قرروه من أنَّ اللغاتِ كلَّها حجةٌ ، والذي دفع النحاة إلى القول بأنَّ مثل هذا ضرورةٌ حينئذ هو محاولة طرد القاعدة، وأمَّا ما كان غير ذلك فهو الذي نعدُّه صورةً خاصةً للاستعمال الشعريّ ، بوصفه مستوًى خاصًّا ، ينبغي أنْ يُفصل عن غيره "[2] .

---

(1) لغة الشعر " دراسة في الضرورة الشعرية " ص302-303 ، بتصرف يسير.
(2) إشباع حركات الأبنية في الشعر وموقف النحاة منه ، ص 136 .

وبناءً على ما سبق من القول بخلط النحاة بين مستويي الشعر والنثر في التقعيد والفهم الاجتماعي للغة ، فإنَّه " آن لنا- إذن - أنْ نطرح تلك التسمية التي اضطرَّ النحاة إليها، وهي " الضرورة " ، ونستبدل بها تسمية أخرى أدلَّ على المراد وأنفي للخلط ، وهي " لغة الشعر" ... وأنْ ننظر إلى مصطلح " الضرورة " بغير قليلٍ من الحيطة ، فلعلَّ له نظيرًا في القرآن الكريم وقراءاته أو الحديث النبوي أو النثر عامة ، أو لعلّه استعمالٌ لهجيٌّ ، صار من مكونات اللغة المشتركة ، أو لعله- أخيرًا - من " لغة الشعر "التي جنى النحاة بها على النحو والشعر معًا "[1] .

المبحث الثّالث

قضايا المعجم والدلالة

يدور البحث في هذا المبحث حول قضايا المعجم والدلالة في نصِّ رحلة ابن رُشَيد ،في محاولةٍ لبيان جانبٍ من حركة اللغة في هذه الرِّحلة، أي دراسة الكلمات المفردة والتراكيب والنصوص اللغوية للكشف الصحيح عن معانيها والمقصود منها ، وما يتّصل بذلك من قضايا ومشكلات ذات صلةٍ بالمعنى ، وهذا ما يُدرس تحت المستوى الدلالي ، وهو بدوره جزءٌ من أجزاء النظام اللغويّ ؛ لذلك يقول تشومسكي : " إنَّ الكلام عن التحليل اللغويّ دون إشارة إلى المعنى كمن يصف طريقة صناعة السفن دون الإشارة إلى البحر "[2] .

---

(1) إشباع حركة الأبنية في الشعر وموقف النحاة منه ، ص 368 ، ويُنظر: الجملة في الشعر العربي ص 21 ، ونظرية اللغة في النقد العربي ص 45 ، والمستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر ص126 وما بعدها ، حيث نَفي الضرورة في لغة الشعر ، ودور الشعراء في تطور النقد الأدبي حتى نهاية القرن الثاني عشر، ص 219 – 235 ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص 43 – 45 .
(2) نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة الدكتور حلمي خليل ، ص 70 – 71 ، ويُنظر أيضًا :
David , crystal : Linguistics , p , 234 .

وهنا أشير إلى أنَّ ملامح الدرس الدلالي عند ابن رُشَيد أمكن تقسيمها على مطلبين ، المطلب الأول بعنوان (وسائل تفسير المعنى المعجميّ وأهداف المعجم وواجباته) ، وتضمن نقطتين ، الأولى : وسائل تفسير المعنى المعجميّ ، والأخرى : في أهداف المعجم وواجباته . أمَّا المطلب الثاني ، فقد جاء تحت عنوان (المعنى الدلاليّ) ، وتضمن ثلاث نقاط ، هي : تحرير المعنى ، والتغيُّر الدلاليّ ، والاشتقاق .

المطلب الأول

وسائل تفسير المعنى المعجميّ وأهداف المعجم وواجباته :

أولاً – وسائل تفسير المعنى المعجميّ :

إنَّ الناظر في (ملْ العيبة) سيجد أنَّ ابن رُشَيد قد ضمّنه مجموعة كبيرةٍ من الألفاظ ، بجانب ذِكْر دلالة كلِّ لفظٍ[1] ، وهو الأمر الذي تسلكه المعاجم ، وقد سلك في كتابه هذا وسائل كثيرةً متنوعةً ، نرى أنَّه من المفيد أنْ نعرض لها ، وقبل العرض لها نشير إلى أنَّ المقصود بالمعنى المعجميّ **Lexicacl meaning** هو الدلالة التي يقدِّمها المعجم للألفاظ التي يتناولها ، والمعنى المعجميّ – كما يراه الدكتور محمود السعران – "ليس كل شيءٍ في إدراك معنى الكلام ، فثمة عناصر لغويةٌ ذات دخْلٍ كبيرٍ في تحديد المعنى ، بل هي جزءٌ أو أجزاء من معنى الكلام، وذلك كشخصية المتكلِّم وشخصية المخاطَب ، وما بينهما من علاقات ، وما يحيط بالكلام من ملابساتٍ وظروفٍ ذات صلةٍ ، كالجو – مثلا – أو الحالة السياسية ... إلخ ، ومن حضور غير المتكلم ، وغير المخاطَب ، وعلاقتهم بهما " [2] .

---

[1] يُنظر : ملْ العيبة 2 / 205 ، 5 / 81 ، 92 ، 101 ، 103 ، 104 ، 107 ، 108 ، 121 ، 122 ، 142 ، 189 ، 278 ، 339 ، 344 ، 347 .

[2] يُنظر : علم اللغة " مقدمة للقارئ العربي ، ص 288 وما بعدها ، ومعاجم الموضوعات ص 329 وما بعدها ، والكلمة دراسة لغوية معجمية ، ص 99 وما بعدها .

أمَّا عن وسائل تفسير المعنى المعجميّ لدى ابن رُشَيد ، فنعرضها على النحو التالي :

أ – التفسير بالترجمة :

يُعدُّ التفسير بالترجمة إحدى وسائل تفسير المعنى المعجمي ، والمقصود بهذا النوع من التفسير " أنْ نفسِّر الكلمة بكلمةٍ أخرى من اللغة نفسها أو بأكثر من كلمةٍ من اللغة نفسها كذلك "[1] ، ومن هنا ندرك أنَّ هذا النوع من التفسير ينقسم نوعين :

الأول : توضيح معنى اللفظ بذِكْر آخر يرادفه أو يُقاربه ، وهو ما طُبعت به المعاجم العربية،وأقربها لهذه الطريقة القاموس المحيط للفيروز أبادي ، الذي عرّى الكلمات عن سياقها ، وحذف الأمثلة والشواهد إلاّ ما ندر ، وكان يكتفي بذِكْر المرادف للكلمة التي يتناولها[2] .

والثاني : توضيح معنى اللفظ بأكثر من لفظٍ ، وقد كان هذا هو النمط الموجود من التفسير لدى ابن رُشَيد .

ومثاله قوله :" قد يكون مقصوده بالسفسطة إيضاح أحوال المخدوعين من المدّعين محبته ،فقومٌ يحبونه لكماله وجماله ، وقومٌ يحبونه لسِقَمِ طرفه وسِحره ،فهولاء المخدوعون فيه لا ينالون منه إلاّ الغثاء،والآخرون يمتعهم بالنظر إليه "[3]،فابن رُشَيْدٍ في نصِّه هذا أوضح معنى كلمة (السفسطة) بأكثر من لفظٍ ،فرأى أنَّها إيضاح أحوال المخدوعين من المدّعين محبته ،

---

[1] المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د.محمد أبو الفرج ، ص 106 وما بعدها ، ويُنظر :الظواهر الدلالية في كتاب عمدة الحفاظ في تفسير الألفاظ ، ص 50 وما بعدها ، ومعالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ،ص39 وما بعدها ،حيث تناول كلٌّ منهما وسائل التفسير هذه .

[2] يُنظر : د . أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، ص 119 .

[3] مِلْء العيبة 2 / 205 ، وكان ذلك في إجابة أبي العباس أحمد بن محمد الأزدي ، عندما سأله عن معنى كلمة (السفسطة) الواردة في أحد الأبياتِ لأبي المطوف ابن عميرة المخزومي : يُنظر : مِلْء العيبة 2 / 203 .

فقومٌ يحبونه لكماله وجماله ، وقومٌ يحبونه لسقم طرفه وسِحره ، فهولاء المخدوعون فيه لا ينالون منه إلاّ الغثاء ، والآخرون يمتعهم بالنظر إليه.

ومثاله أيضًا تفسيره لكلمة(الحَلِيفة)بأنَّها ماءٌ من مياه بني جُشم[1] .

ب – التفسير بالنَّظير :

التفسير بالنَّظير عبارة عن بيان معنى اللفظ بذِكْر نظيره ، وقد ألَّف اللغويون العرب كتبًا في هذا الموضوع تحت عنوان (الفروق) ، وهذه المؤلّفات كانت مؤسّسةً على جَمْع أعضاء جسم الإنسان ، وما يتصل بها من وظائفَ وصفاتٍ ، مع ذِكْر ما يقابلها من الحيوان والطير كلّما أمكن ذلك ؛ ومن هنا كانت فكرة التفسير بالنَّظير عند علماء العربية ، ومن هذه المؤلّفات كتاب (الفَرْق) لقُطْرُب (ت 210 هـ) ، وكتاب (الفَرْق) لثابت بن أبي ثابت ، وكتاب (الفَرْق) لابن فارس (ت 395 هـ) ، وغيرها ، ومن الألفاظ التي فُسِّرت بذِكْر نظائرها لدى ابن رُشَيد لَفْظ (التحنيب) .

قال : "والتحنيبُ : الانحناء والاعوجاج ، وهو بمعنى يجنبن بالجيم ، ومصدره التجنيب ، وهو الانحناء والتوتير في رِجْل الفرس ، وهو مستَحبٌّ ، وأمَّا التحنيب فلا أعرف له معنى يتَّجه هنا . وإنْ كان النحب في اللغة يُطلق على السير السريع ، ونَحَّب القوم تنحيبًا إذا جدُّوا في عملهم ، فالتنحيب السير القاصد الدأب ، وفي البيت : وَجَدَّ سير القوم إلى أنْ اقتربوا من الماء ، وكأنَّ هذا لا يتجه في البيت إلاّ بحذفٍ أو تضمينٍ ، فافهم " [2] .

---

[1] يُنظر : مِلْء العيبة 5 / 71 .

[2] مِلْء العيبة 5 / 91 ، وقوله في البيت يقصد البيت موضع تعليقه ، وهو قول طفيل (من الطويل):

يَزُرْن إلالا ،لا يُنَحِّبْنَ غيرَه   بكلِّ مُلَبٍّ أشعَثَ الرّأس مُحْرِم

والإلُّ : جبل رملٍ بعرفات .

جـ – التفسير بالسياق :

يُعدُّ التفسير بالسياق واحدًا من طُرق تفسير المعنى لدى ابن رُشَيد ، فهو يوجِّه نظرنا إلى إدراكه للدور الذي يلعبه السياق في تفسير المعنى ، ونقصد بالسياق هنا "ما يُصاحب اللفظ ، ممّا يساعد على توضيح المعنى، فقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال ، وقد يكون ما يُصاحب اللفظ من غير الكلام مفسِّرًا للكلام[1] ، وهذا ما يُعرف بالسياق اللغويّ Linguistic context وسياق الحال Context of situation ، وهذان النوعان يكونان ما يُعرف ضمن نظريات تحليل المعنى بنظرية السياق The context theory of meaning ، فالسياق كما نعرف يُضفي على الكلمات دلالات أُخر غير دلالتها المعجمية ، بتنوعه ، وذلك بتحويل الكلمة " من حالة الحفظ والجمود في المعجم إلى حالة الحياة والاستعمال ، باتصالها بغيرها من الكلمات ، والسياق هو حاصل جَمْع المعنى الوظيفيّ التحليليّ ، والمعنى المعجميّ ، ومعنى المقام ، أي المعنى الاجتماعيّ الذي يضم القرائن الحالية إلى ما فيه من قرائن مقالية ، وبذا يتم الوصول إلى المعنى الدلاليّ "[2] .

وبالنظر إلى ما أورده ابن رُشَيد في رحلته من تفسيرٍ لدلالات الألفاظ في نصوصها يتبين لنا أنَّ ما أورده من تفسيرات كان مراعيًا فيها السياق بنوعيه اللغويّ والاجتماعيّ(المقام)،مع ملاحظة أنَّه لم ينص على ذلك صراحةً ؛لأنَّه أمرٌ بدهيٌّ ، يفهمه القارئ ، ولا يحتاج إلى تصريحٍ .

---

[1] المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، ص 116 .

[2] علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ، للدكتور هويدي شعبان هويدي ، ص 125 ، وحول هذه النظرية يُنظر : علم اللغة " مقدمة للقارئ العربي ، ص 338 وما بعدها ، وكذلك :
Lyons , semantics , Vol .1 ,pp61 – 65 , V2 ,p. 607 .
ودراسة المعنى عند الأصوليين ، ص 213 .

1 – السياق اللغويّ :

السياق اللغويّ هو السياق الذي يعتمد في تحديد المعنى على معطيات لغوية ، ويتضح أثر ذلك جليًا في تفسير دلالات بعض الألفاظ التي تحتمل تعدُّدًا في المعنى ، كألفاظ المشترك والأضداد وغيرها[1] ، وقد نبّه ابن رُشَيد على ذلك بقوله :(وهو ها هنا – المُشار إليه –وهو كذا...الخ) ، ومن ذلك أنَّه كان قد لقي بمصر الفقيه الإمام الأوحد المفتي السيد الشريف شرف الدين أبا عبدالله محمد بن عمران بن موسى ، بالمدرسة الطَّيْبَرْسية، مع رفيقه الوزير الفاضل الكاتب الكامل بدر الدين أبي عبد الله ، فقرأ على رفيقه أبي عبد الله شرحه لعقيدة المهدي التي تُسمّى بالمرشدة ، وسمّاه اللمحة المسدَّدة في شرح المُرشدة[2] ، فعلّق على ذلك بقوله : " والمُرشدة المُشار إليها هي العقيدة الموحّدية التي كان الموحّدون– رحمهم الله – يلزمون تعلُّمها وتعليمها وحفظَها الصِّغار والكبار ، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم : اعلم ، أرشدنا الله وإيّاك أنَّه وجب على كلِّ مُكلَّف أنْ يعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ واحدٌ في مُلْكه ،خلق العالم بأسْره ،العُلوي والسُّفلي ، والعرش والكرسيَّ... "[3] .

2 – سياق الحال (المقام) :

ذكرنا آنفًا أنَّ نظرية السياق قد ركّزت على أهمية الجانب الاجتماعي للمعنى،فيما اصطلحوا على تسميته بسياق الحالContext of situation ، "ويمثّله العالم الخـــارج على اللغة بما له من صلة بالحديث اللغوي أو النَّص ، ويتمثَّل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلِّم والمشتركين في الكلام أيضًا "[4]. وقد اهتمت نظرية السياق بالمقام ؛ لأنَّ

(1) د . أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، ص 57 .
(2) يُنظر : مِلْء العيبة 5 / 343 – 344 .
(3) مِلْء العيبة 5 / 345 ، ويُنظر 5 / 101 .
(4) الكلمة " دراسة لغوية معجمية " ص 161 .

"إجلاء المعنى على المستوى الوظيفيّ (الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ) ، وعلى المستوى المعجميّ فوق ذلك لا يعطينا إلاّ معنى المقال أو المعنى الحرفيّ ، كما يسميه النقاد أو معنى ظاهر النَّص ، كما يسميه الأصوليون ...وهو معنًى فارغٌ تمامًا من محتواه الاجتماعي والتاريخي ، منعزلٌ عن كلٍّ ما يحيط بالنَّصِّ من القرائن الحالية ... وهي القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى "[1] .

وعلى الرغم من أنَّ فيرث **J . R . Firth** قد اعتمد على مالينوفسكي **Malinowski** في السياق[2] ، فإنَّه " ينظر إلى السياق باعتباره جزءًا من أدوات عالم اللغة ، مثله في ذلك مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها ، ولقد استُخدم أحسن ما استخدم ، باعتباره " تنظيمًا تخطيطيًّا مناسبًا ، ينطبق على أحداث اللغة ؛ ولهذا اقترح الفصائل الآتية ، وهي العناصر التي تحدِّد المقام :

(أ) الملامح الوثيقة بالمشتركين في الكلام ، من ظواهر الأشخاص ، والخصائص الذاتية المميزة لهم ، ويندرج تحت هذا :

1 – الحدث الكلاميّ للمشتركين " الكلام الفعلي للمشتركين " .

2 – الحدث غير الكلامي للمشتركين " أعمال هؤلاء المشتركين " .

(ب) الأشياء ذات الصلة بالموضوع .

(جـ) تأثيرات الحدث الكلاميّ " آثار الكلام الفعليّ "[3] .

(1) معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ، ص55 .
(2) يُنظر : اللغة العربية معناها ومبناها ص 337 – 338 ، وكذلك :
R .H .Robins : General linguistics , pp . 25 – 27
(3) يُنظر: علم الدلالة إطار جديد ، ص 77 ، ومنهج ثعلب في شرح ديوان زهير ص 217 – 218 .

وهذه الفكرة ،فكرة التنبُّه إلى الدور الذي يلعبه المعنى المقاميّ، متضافرًا مع المعنى المقالي من أجل إفراز المعنى الدلاليّ قد تنبّه إليها القدماء في مصنفاتهم ،وأخصُّ بالذِّكر شرَّاح النصوص الأدبية ،ومن بينهم شُرَّاح الدواوين ، بالإضافة إلى كتب الرحلات ، وإذا أردنا أنْ نتبين مدى تنبُّه ابن رُشَيد إلى دور المقام في توجيه دلالات الألفاظ سنجد أنّ هذا الأمر يكمن في مظهرٍ واحدٍ ،هو: ذِكْره لمناسبات بعض ما تعرّض له[1].

ومثال ذلك ذِكْره للمناسبة التي يتضح منها معنى كلمة (زنجية) الواردة في قول أبي طاهر بن أبي رُكَب لنفسه ، يصف محبرة أبنوس بحلية ذهب، فيها قلم ذهب :

جاءتك من عُدد الحُلى زِنْجِيةٌ ... فِي حُـلَّةٍ من حـلـية تَتَبَخْتَـرُ
سـوداءُ صفراءُ الحُليِّ كأنَّها ... لِيـلٌ تُطَـرِّزه نـجومٌ تُـزهـر
حملت بأصفر من نِجار حليِّها ... تُخـفيـه أحيـانًا وحينًـا يظهر
خرسان إلاَ حين يرضع ثديها ... فتـراه ينطـق ما يشاء ويذكر[2]

فقال ابن رُشَيد معلِّقًا على هذه الأبيات : " قال أبو محمد طلحة : ووصف لنا أبو الحسين السبب لذلك ، فقال ، نا أبي أنَّه كان يومًا جالسًا مع الأديب أبي الطاهر ابن أبي رُكب ، فجاء رجلٌ نجار بمحبرة أبنوس ، ورغب في وَصفها ؛ ليهديها إلى أحد العظماء . فأطرق ابن أبي ركب ، ثُمّ قال اكتبوا :جاءتك...وذكر البيتين.فأخذها النجار وانصرف ،ولبث ساعة ، وإذا به وبيده قلم ذَهَب ،وقال :يا سادتي هذا يكون في جوف تلك ، ورغب في وصفه أيضًا ، فقال أبو طاهر : حملت بأصفر ... وذكر البيتين "[3] .

---

(1) يُنظر : معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ، ص 62 ، حيث عرض لهذه المظاهر عند تطبيقه على شرح الأنباري على المفضليات .

(2) يُنظر : مِلْء العيبة 2 / 152 – 153 .

(3) مِلْء العيبة 2 / 153 ، ويُنظر أيضًا 5 / 404 ، و(نا) اختصار لقوله :(حدثنا).

ثانيًا – في أهداف المعجم وواجباته:

فيما يتصل بأهداف المعجم وواجباته نشير إلى أنَّ ثَمّةَ أشياء ينبغي أنْ يتوقّعها الإنسان عندما يُمسك بالمعجم ، كبيان طريقة النُطق ، والتحديد الصرفيّ ، وشرح الكلمات بطرقٍ مختلفة ، كأنْ يعرض للأشكال المختلفة للكلمة ، أو يشرح المعاني المختلفة المتعدِّدة للكلمة الواحدة ، مستشهدًا في ذلك بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والنثر العربي ، أو يشير إلى تغيُّر معنى الكلمة بتغيُّر الضمائم ، ولمَّا كانت رحلة ابن رُشَيد قد تضمّنت شرح كثيرٍ من الألفاظ ، فإنّه يمكن القول : إنَّ أهم ما يميِّز هذه الألفاظ – فيما يتصل بأهداف المعجم وواجباته – هو طريقة النطق ؛ ولذلك سأقتصر على التمثيل لهذه السمة فيما يلي :

– طريقة النُطق :

عرض ابن رُشَيد في رحلته لشرح لطريقة نُطق بعض الألفاظ ، على طريقة المعاجم ، كأنْ يقول : بفتْحٍ فَكَسْرٍ ، أو بِفَتْح النون ، أو بفَتْح الشين أو يقيس الكلمة على غيرها ، وقبل أن أعرض لبعض ملاحظ النُطق عند ابن رُشَيد أشير – على الرغم من طول النّصِّ – إلى أنَّه " من المعروف أنَّ أنظمة الكتابة في اللغات المختلفة تَقْصُر دون تمثيل النُطق تمثيلاً صوتيًّا دقيقًا ؛ لأنَّ الأغراض العملية للكتابة الإملائية لا تتطلب الرمز للفروق الصوتية الدقيقة ، التي لا تهمُّ القارئ العادي ، كالإخفاء والإقلاب والإدغام بغُنَّة ، وهلم جرًّا ، وإنَّما ينبغي لكلِّ نظامٍ إملائيّ أنْ تكون غايته المنشودة أنْ يمثِّل الحروف Phonems في الكتابة ، بأنْ يجعل لكلِّ حرفٍ من حروف اللغة رمزًا كتابيًّا واحدًا مستقلاً ، وهذه الغاية المنشودة لم تَصل إليها لغةٌ من لغات العالم حتّى الآن ، ولم يصل إليها نظام الإملاء العربي كذلك ...ولكننا نستطيع أن نضرب المثل هنا بالحروف التي لا تُنْطق ، كالواو التي في (عمرو) والحروف التي لا تُكتب، كواو المدِّ في (داود)

والحروف التي تُنطق ، ويُكتب رمز غيرها من الحروف ، كالألف في (رمى) ، وهُلمّ جرًّا .

ولهذا السبب أصبح من المحتمل للكلمة العربية ، كما يمثّلها نظام الإملاء أن تكون عرضةً للخطأ في النُّطق ؛ ومن ثَمَّ يتوقع طالب المعجم حين يكشف عن معنى الكلمة أنْ يبدأ المعجم بأنْ يحدِّد له طريقة نُطْقها ما دام النظام الإملائي لا يصل إلى هذه الغاية ، وفي لغات العالم الحية معاجم خاصة لنطق الكلمات ، كالمعجم الذي وضعه دانيال جونز لنطق كلمات اللغة الإنجليزية ، وأطلق عليه **English pranouncing** ، ولعلّ الصلة الشديدة الانفكاك بين الهجاء الإنجليزي ونُطْق الكلمات في تلك اللغة يبرِّر أهمية وضْع معجمٍ خاصٍّ لنُطق كلماتها .

أمّا الطريقة التي درجت عليها المعاجم العربية للوصول إلى هذه الغاية (إيضاح طريقة النُطق) ، فهي أنْ تصف حركات الكلمة ومدَّها وإعجام الحروف أو إهمالها ، فنقول مثلاً في كلمة (تبعة) بفَتْحٍ فَكَسْرٍ ففتْحٍ أو تقول عند خوف اللَّبْس المطبعيّ بالتاء الفوقية المُثنّاة فالباء التحتية فالعين المهملة ، ومن ذلك أيضًا ألاّ تُفصِّل القول في حركاتها وحروفها ، وإنّما تلجأ إلى قياس هذه الكلمة على كلمةٍ أخرى أشهر منها في الاستعمال ، فتجعل الكلمة الشهيرة كالميزان الصرفيّ للكلمة المشروحة ، فتقول مثلاً : روح البيت كمنع ، فيُعرف أنّ هذا الفعل من باب فعل يفعل ، بفتح العين في الصيغتين ، فيفيد القارئ من ذلك من جهة النُطق ، وربما الصرف كذلك في الوقت نفسه "[1] .

(1) اللغة العربية ، معناها ومبناها ، ص 325 – 326 .

أمّا عن بعض ملاحظ بيان طريقة النُطق لدى ابن رُشَيْد،فهي كثيرة[1] ، يمكن أنْ نذكر منها الملحظين التاليين :

1 – قال ابنُ رُشَيد : "قلتُ : خميس الحَوزِيّ هذا – بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة ثمّ زاي مكسورة بعدها ياء النِّسْبة – ذكره العماد في الخريدة "[2] ، ومن خلاله تتضح إشارته إلى أنّ طريقة نُطْق (الحَوزيّ) بالحاء المهملة المفتوحة ، حتى لا ينطقها أحدٌ بالجيم ، وواوها ساكنةٌ ، وليست متحرِّكة ، والزّاي مكسورةٌ ؛ لمجيء ياء النَّسب المشدّدة بعدها .

2 – قال ابنُ رُشَيد : "فوافينا ذا الحليفة ، وهي موضع إحرام المدنيين وجوبًا ، ومَن اجتاز بها من غيرهم ندبًا . وهي على ستة أميال من المدينة ، وقد قيل على سبعة ، وظاهر التقدير أنّها ستةٌ . وهي بضمِّ الحاء المهملة وفَتْح الفاء بينهما ياء ساكنة مُخفّفة ، وهي ماءٌ من مياه بني جُشم "[3] ، وهو ما يتضح من خلاله أنّ طريقةَ نُطق كلمة (الحُلَيفة) بضم الحاء المهملة ، وليس الجيم ، بالإضافة إلى فَتْح الفاء ، وبين الحاء والفاء ياءٌ ساكنة .

المطلب الثاني

المعنى الدلاليّ :

أولاً – تحرير المعنى :

ذكرنا فيما سبق أنّ ابن رُشَيد قد استخدم وسائلَ كثيرةً لتفسير المعنى المعجميّ لدلالات الألفاظ ، وإذا أردنا أن نتحدث هنا عن تحرير المعنى ، فنشير إلى أنّه ربّما يتساءل سائلٌ ما الفرق بين وسائل تفسير المعنى

(1) يُنظر : ملء العيبة 2 / 83 ، 184 هامش 247 ، 192 ، 5 / 2 ، 7 ، 15 ، 71 ، 84 ، 92 ، 98 ، 140 ، 278 ، 383 .

(2) ملء العيبة 2 / 192 .

(3) ملء العيبة 5 / 71 .

المعجميّ وتحرير المعنى الذي نحن بصدده ؟ فنقول له : إنّ المعنى المعجميّ تعرضنا فيه لوسائل تفسير المعنى المعجميّ لدلالات الألفاظ من تفسيرٍ بالترجمة أو بالنظير أو بالسياق ، ولم نتعرض لكيفية تخليص المعنى من الغموض والإبهام وهو موضوع هذا الجزء من البحث ، في ضوء الدرس اللغويّ الحديث . ومن المفيد الإشارة إلى أنّ مصطلح (تحرير المعنى) قد استعمله أكثر من باحثٍ ، في أبحاثهم العلمية [(1)] ، وهذا المصطلح قد استعمله(الزوزني،ت468هـ)،في شَرْحه على المعلقات السبع ، وسار الزوزني في شرحه هذا على منهجٍ معيّن [(2)]،هذا وقد طُبعت رحلة ابن رُشَيد بمواضع كثيرة لتحرير المعنى[(3)]، واتّخذ هذا التحرير عنده سبيلين ،هما شرح المعنى الإجمالي وتخليصه من الغموض ، والآخر تحرير المفردات . فمن الأوّل ، وهو شَرْحه وتحريره للمعنى وتخليصه من الغموض دون شَرْح الألفاظ المفردة ما جاء في تعليقه على

(1) تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح (تحرير المعنى) ليس حِكْرًا على باحثٍ بعينه ، ناسبًا الفضل لنفسه ، معتقدًا أنه من بنات أفكاره – باستثناء طريقة التناول – فقد ورد المصطلح عند القدماء من أصحاب المعاجم، نحو ابن سيده في المخصّص وابن فارس في مقاييس اللغة ، وغيرهم ، بالإضافة إلى شُرّاح الدواوين والكتب ، نحو الزوزني ، والتبريزي ، والبطليوسي ، وغيرهم من شُرّاح الحديث ، نحو تعليق ابن حَجَر العسقلاني في كتابه (فتح الباري بشرح صَحيح البخاري10 /229 ، في تعليقه على لفظ (البلاء) في بعض الأحاديث ، فقال : " وتحرير ذلك أنّ لفظ البلاء من الأضداد ، يُطلق ويُراد به النّعمة ، ويُطلق ، ويُراد به النّقمة ". واستعمله أيضًا كثيرٌ من أساتذتنا في مؤلفاتهم ، نحو أستاذي الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في كتابه (العلامة الإعرابية ، جامعة الكويت ، 1983 ، ص 134) ، واستعمله أكثر من باحثٍ بكلية اللغة العربية بالمنصورة ، نحو الدكتور عثمان محمد أحمد في رسالته للدكتوراه (الظواهر الدلالية في كتاب عمدة الحفّاظ) ، وغيرهم من الباحثين الذين تعرضوا للظواهر الدلالية ، كما استعمله الدكتور عبد الكريم محمد جبل في رسالته للماجستير (معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات) ... إلخ ، وهذه الرسالة هي المطبوعة فيما بعد بعنوان : في علم الدلالة ، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، 1997 م .

(2) يُنظر : معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ، ص 86 وما بعدها ، ومنهج ثعلب في شرح ديوان زهير ص 235 وما بعدها .

(3) يُنظر : ملء العيبة 5 / 81 ، 122 ، 142 ، 189 ، 278 ، 326 ، 339 ، 347 ، .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[(1)] ، وهو ما عرضنا له آنفًا ، فقد قال :" وأمّا التحرير فإنّه ممّا أُقيم فيه المُسبّب مُقام السبب ، فنفي المُسبّب ، والمُراد نفي السبب ، وهو وجود مثْلٍ لهذا الخبير المُخْبر. فحاصل المعنى من العبارة الكريمة : يا محمد لا تنبئة موجودةٌ من أحد كهذه التنبئة ؛ لانتفاء مثْلِ خبيرٍ أنبأك بها . ويُنْظر إلى قوله تعالى :﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾[(2)] ، المعنى فلا يُقبل ، وتقديره : فلا يربو أجرُه كربا الصدقات المقبولات وتضاعفها ، فَنفْي فَرْعُه لانتفاء أصله ؛ لأنّ الزّيادة فَرْع المزيد ، فإذا انتفى الأصل انتفى الفرع ، ونحوٌ منه قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾[(3)] ، أي من خوف الذُلِّ ، فنفي اتّخاذ الوليّ لانتفاء سببه ، وهو خوف الذُلِّ ، فإنّ اتّخاذ الوليّ فرع المخافة من الذُلِّ ومسبَّبٌ عنها "[(4)] ، وفيما سبق من شَرْحٍ ما يغني عن إعادة الحديث هنا .

أمّا الثاني : فهو محاولة ابن رُشَيد بيان دلالة الألفاظ ، وذلك بما تحمله من ملامح أي عناصر ومكونات دلالية **semantic components** ، وهو ما يوضّح دلالة الألفاظ ، ويزيل إبهامها وغموضها ، وهذا المنهج يشبه ما يُعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بنظرية التحليل التكوينيّ **componential analysis** ، حيث إنّ " معنى الكلمة يتحدّد بما تحمله من ملامح أو عناصر**Element**أو بما تحتوي عليه من مكونات **component** ، ولقد أصبح التحليل التكوينيّ من أحدث الاتجاهات الرئيسية في دراسة

(1) سورة فاطر ، الآية 14 .

(2) سورة الروم ، من الآية 39 .

(3) سورة الإسراء ، من الآية 111 .

(4) ملء العيبة 5 / 337 .

المعنى "[1] ، وذلك نحو شَرْحنا لدلالة لفظ (عَزَب) ، فدلالته تحتوي على مجموعةٍ من العناصر أو المكونات الدلالية الآتية : رجل + لم يتزوج + بالغ + إنسان...الخ ، فالناظر إلى هذا اللفظ يجد أنَّنا قد حاولنا أنْ نستقصي ملامحه ومكوناته الدلالية بشيءٍ من التفصيل ؛ ومن هنا رأينا أنْ نسمّي هذا النوع – على نحو ما أسماه الدكتور عبد الكريم جبل – بتحرير الاستقصاء والتفصيل[2] .

وذلك نحو قوله صدد الحديث عن السفر من المدينة المنورة : " وهذا الموضع المعروف بينبُع ، بفتح أوّله وسكون ثانيه بعده باءٌ معجمة بواحدة مضمومة وعين مهملة ، كذا قيده أبو عبيد رحمه الله .والعامة تقوله الينبوع بزيادة واو وإلحاق أداة التعريف ،وهي بُلَيدة حسنة كثيرة المياه والخضر والبساتين ، وهي بين مكة والمدينة ، وكانت من بلاد بني ضَمرة، قوم عَزّة كثيِّر ، وقد ذكره كثيِّر في شعره ، وقد وصف غيثًا :

ومَرّ فأروى يَنْبُعا وجنوبه وقد جيدَ منهُ جَيْدَةً فعباثر " [3]

وفي ضوء ما سبق نستطيع أنْ نضع التفسير الذي أورده ابن رُشَيد في صورة مكونات دلالية ، كما هو متبَّعٌ في منهج نظرية التحليل التكويني ، على النحو التالي :

<u>اللفظ</u>	<u>مكوناته الدلالية</u>
يَنْبُع	موضع + بُلَيدة + حسنة + كثيرة المياه والخُضَر والبساتين + بين مكة والمدينة + وكانت من بلاد بني ضَمرة .

---

[1] أصول تراثية في علم اللغة ص 285 بتصرُّف يسير ، ويُنظر أيضًا : بالمر : علم الدلالة ص ص 131 – 138 .

[2] يُنظر : معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ص 88 – 89 ، ومنهج ثعلب في شرح ديوان زهير ص 237 .

[3] ملء العيبة 5 / 278 ، ويُنظر 5 / 81 – 82 ، 326 .

ومن الملاحظ أنَّ هذا الاستقصاء والتفصيل بذكْر مميِّزات Distinguishers الكلمة يساعد على تحرير دلالتها ، وتخليصها من اللَّبس والغموض بأية دلالة أخرى .

ثانيًا- التغيُّر الدلاليّ :

يُعدُّ التغيُّر الدلاليّ من الظواهر المُسلَّم بوقوعها في كثيرٍ من اللغات ، فقد يحدث لمعاني الكلمات توسيعٌ أو تضييقٌ أو انتقالٌ في الدلالة ، فلا ينبغي لنا إلاّ التسليم بهذا التغيُّر ما دامت اللغة ملازمةً للإنسان ،"وإنْ نظرةً فاحصةً فيما دوِّن من هذه اللغة في العصور الثقافية لَتشير بوضوحٍ إلى أنَّ هذه اللغة قد تغيّرت وتطورت إلى حدٍّ كبيرٍ"[1] ، فاللغة " تنطبع دائمًا بطابع العصر الذي تعيشه ، وبطابع الفرد الذي ينطقها ، أي أنَّ هناك عاملين يؤثِّران في اللغة ، عامل المجتمع وعامل الفرد ، ويمكن أنْ نعتبرهما عاملاً واحدًا ، هو عامل المجتمع ، إذا ما رأينا أنَّ المجتمع لا يؤثِّر إلاّ من خلال الممارسات الفردية ؛ ومن هنا يمكن أنْ نعترف بطروء بعض التغيرات في العربية ، ضرورةً لا معدى عنها "[2] ، وللتغيُّر الدلالي عوامل[3] ،وله أيضًا مظاهر تكمن في توسيع (تعميم) الخاص widening ، تضييق المعنى (تخصيص العام) Narrowing [4]، وانتقال الدلالة ، وبالنظر فيما بين أيدينا من ملْءِ العيبة لم نجد به من التغير الدلالي إلا ما يندرج تحت انتقال الدلالة .

---

[1] منهج في التطور اللغوي في ضوء علم اللغة التاريخيّ ، ص 2 ، وحول تَغيُّر المعنى يُنظر : فندريس : اللغة ، ص 256 – 263 .

[2] العربية لغة العلوم والتقنية ، ص 319 – 325 .

[3] يُنظر :د .علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ص 319 – 325 ، والتطور اللغويّ ، ص 111 – 114 .

[4] يُنظر : علم الدلالة العربي ، ص 301 ، وعلم اللغة بين القديم والحديث ، ص 261 ، ودور الكلمة في اللغة ، ص 180 ، ودلالة الألفاظ ، ص 154 ، والمزهر 1 / 427 ، وعلم الدلالة ، للدكتور أحمد مختار عمر، ص 226 .

وقبل التمثيل لذلك أودُّ الإشارة إلى أنَّه لمّا كان توسيع المعنى يأخذ اتجاهًا معاكسًا لتخصيص المعنى ، فإنَّ هذا النوع من أنواع التغيُّر الدلاليّ يأخذ اتجاهًا مخالفًا لهذين النوعين معًا ، فهو " يجري عادةً بين الكلمات التي تربط بينها وبين معناها المعجمي علاقةٌ دلاليةٌ معينة ، كأسماء الألوان وأعضاء الجسم وأسماء الحواس،وغير ذلك "[1] . فانتقال دلالة اللفظ أو تحويلها من معناها الأصلي إلى معنى آخر قد يكون لعلاقة المشابهة ، وهنا تلعب الاستعارة دورها ، ومثال ذلك استخدام أهل الأندلس كلمة (القلادة) في معنى الحزام ، وهي ما يحيط بالعنق ، وفي المدلولين تشابة ، فالحزام يحيط بالوسط ، كما تحيط القلادة بالعُنق ، وقولهم للمتهم بالخبيث : مُخَنَّثٌ ؛ لعلاقة المشابهة ، من حيث إنَّ في كلٍ منهما نكرًا ورخاوةً "[2] ،أمّا إذا كانت العلاقة غير المشابهة ، فإنَّ المجاز المُرسل Metonymy يلعب دوره ها هنا ،ومثال ذلك أنَّ " الظعينة أصلها المرأة على الهودج ، ثم صار البعير الذي عليه الهودج ظعينةً "[3] .

وهنا أشير إلى أنَّ دلالة اللفظ بعد الانتقال تصبح دلالةً حقيقيةً ؛ نظرًا لكثرة الاستعمال ؛ ولذا يقول أحد الباحثين : " ولابد لنا من القول إنَّ استعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في بادئ الأمر عن طريق المجاز ، ولكنه بكثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه الصفة ، وتصبح دلالته على مدلوله الجديد دلالةً حقيقيةً لا مجازيةً "[4] .

نأتي بعد ذلك إلى ملْء العيبة فنجد ابن رُشَيد صـــدد حديثه عن مكة يقول : " ثُمَّ نشأت مسألةٌ ، الله أعلم بوقت نشْء الكلام فيها . وهو مَا أحاط

[1] يُنظر : الكلمة " دراسة لغوية معجمية " ، ص 117 ، وعلم اللغة بين القديم والحديث ، ص 262 ، واللغة لفندريس ص 260 .

[2] لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ص 370 .

[3] الجمهرة (باب الاستعارات) 3 / 433 .

[4] فقه اللغة وخصائص العربية ، ص 221 ، ويُنظر: منهج ثعلب في شرح ديوان زهير ص 262 – 267

بالبيت ملتصقًا به أسفل الجدار ما بين الركنين اليمانيين ، وهو الذي يُسمى بالشاذروان.وكان بسيطًا ثُمّ زُهِقَ في العهد الأخير حتى صار كأنَّه مثلثٌ ؛ احتياطًا فيمَا زعموا على الطائفين أن لا يفسدوا طوافهم بكونهم إذا طافوا ماشين عليه حيث كان بسيطًا يكون طوافهم في جزءٍ من البيت . وكان منتهاه إلى قريب الرُّكن ، ولم تكن تحت الحَجر الأسود من هذه الزيادة الظاهرة شيء ، ثُمّ زيدت بمقدار سائره في المدّة الأخيرة . وهذا الاسم ، أعني الشاذِروان لفظةٌ عجمية ، وهي بلسان الفُرس (زارهو) الذّهب بلغة الفُرس ، بكسْر الذال اسمٌ للزربية وجمعها زرابي ، وهي فرشٌ ملوّنةٌ بصُفْرةٍ وحُمْرةٍ وخُضْرة . ولا شك أنَّها استُعيرت لهذا المفترش البنياني الضيّق القصير الارتفاع الذي أحاط بالبيت من هذه الجهة ، وهي استعارةٌ بعيدةٌ ، ومَنْ يقول الزربية هي الوسادة تكون الاستعارة أقرب ، كأنَّها وسائد وُسّدت إلى البيت ، والله أعلم "[1] .

فابنُ رُشَيد يرى أنَّ الشاذِروان لفظةٌ عجمية ، وهي بلسان الفُرس (زارهو) الذَّهب بلغة الفُرس ، وقد حدث لها انتقال في الدلالة ، فهي بلسان الفُرس اسمٌ للزربية وجمعها زرابي ، وهي فرشٌ ملوّنةٌ بصُفْرةٍ وحُمْرةٍ

[1] مِلْء العَيْبَة 5 / 106 – 107 ، وقد أشار ابن رُشَيد فيما بعد (5 / 108) إلى أنَّ الشاذِروان هو القدْرُ الذي تُرك في عَرْض الأساس خارجًا عن عرض الجدار خاليًا من البناء . فإنَّ قُريشًا لمّا رفعوا الأساس بمقدار ثلاث أصابع من وجه الأرض نقصوا عرض الجدار عن عرض الأساس الأول ، فبقي ذلك القدْر من عَرْض أصل الجدار جزءًا من البيت العتيق المأمور بطوافه خارجًا عن الجدار المرتفع ، وهو ظاهرٌ ، لكن لا يظهر عند الحَجر الأسود . وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن رشيد أشار إلى كثير من الألفاظ الأعجمية ، نحو إشاراته في 2 / 120 ، 151 ، وأشار كذلك إلى بعض الألفاظ الحضارية التي يمكن أنْ تكون من السمات الحضارية عنده ، نحو إشاراته في 2 / 66 ، 194 ، 206 ، 208 ، 307 ، وكذلك استعمالاته وإشاراته للعامية أو العامي الفصيح نحو 2 / 66 ، 5 / 274 ، وما أشير إليه في 2 / 70 من مقدمة المحقق ، حيث استخدامه لفظ (التّصْحيح) ، وهو ممّا ينوء هذا البحث ببحثه ؛ ومن ثَمّ يهيب بمَن يواصل المسيرة ، فيضع معجمًا لرحلة ابن رُشَيدٍ بعنوان المعجم المغربي أو المعجم اللّغويّ في رحلة ابن رُشَيد ؛ ومن ثَمّ المقارنة بين هذا المعجم والقاموس المغربي في رحلة ابن بطوطة ، للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازيّ ، بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص 73 – 94 .

وخُضْرة ، وقد انتقلت دلالة اللفظ ، فتحول من معناه الأصلي إلى معنى آخر ، قد يكون لعلاقة المشابهة ، ومن ثَمَّ لعبت الاستعارة دورها ، فاستُعيرت لهذا المفترش البنياني الضيّق القصير الارتفاع الذي أحاط بالبيت من هذه الجهة ، وهو ما يمكن أنْ يُقال فيه : إنَّ اللفظ بانتقال دلالته صارت دلالةً حقيقيةً ؛ لكثرة الاستعمال ؛ ومن ثَمَّ اختفت الدلالة المجازية .

هذا،ولم يكتف ابن رُشَيد بالنَّص على انتقال الدلالة فقط ،بل أشار –وهو ما أوافقه عليه – إلى أنَّها استعارةٌ بعيدة ، ومَنْ يقول الزربية هي الوسادة تكون الاستعارة أقرب ، كأنَّها وسائد وُسّدت إلى البيت ، فبالرجوع إلى المعاجم وجدت أنَّ الزَّرابيَّ هي: النَّمارق والوسائد ، وكلُّ ما بُسِط واتُكِئ عليه ، ومن النَّبْت ما اصفرَّ أو احمرَّ وفيه خُضرةٌ ، وقد أزرب البَقْل ازْرِبَابًا كاحمرَّ احْمرارًا ، وفي حديث أبي هريرة (ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ، ويلٌ للزَّربية ، وما الزَّربية ؟ قال : الذين يدخلون على الأمراء ، فإذا قالوا شرًّا أو قالوا شيئًا قالوا : صدق)[1] . شبههم في تلوُّنهم بواحدة الزَّرابيّ ، وما كان على صُنْعها وألوانها ، أو شبههم بالغنم المنسوبة إلى الزَّرب ، وهو الحظيرة التي تأوي إليها ، في أنَّهم ينقادون للأمراء ، ويمضون على مِشيتهم انقياد الغنم لراعيها ، والزَّربية مَكْمَن السَّبُع[2] .

وهو الأمر الذي يؤكد على أنَّ استعارة الشاذِروان – بمعنى الزربية لهذا المفترش البنياني الضيّق القصير الارتفاع الذي أحاط بالبيت –

---

(1) تهذيب اللغة ، مادة (زرب) ، ولم أعثر عليه في كتب الحديث ، وخاصة في باب ويلٌ : قول النبي صلى الله عليه وسلم : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ، وتجدر الإشارة إلى أنني تعرضت للفظ الزربية في بحثٍ سابقٍ لي بعنوان " ألفاظ وصف البيت البدويّ في لهجة بدو وادي الحياة – دراسة تأثيلية مقارنة " ، وفيه تفاصيل كثيرةٌ ، حيث يعني هذا اللفظ في لهجتهم :: جريد النخل ، وهو من الألفاظ التي انتقلت دلالتها .

(2) يُنظر في ذلك : جمهرة اللغة مادة (برز) ، وتهذيب اللغة ، والصّحاح وأساس البلاغة ، ولسان العرب ، والقاموس المحيط ، وتاج العروس ، مادة (زرب) .

استعارةٌ بعيدة . لكن أودُّ القول : إنَّ القول بالاستعارة قد يكون صوابًا ، بالنظر إلى شيْ مهمٍّ ، يُحتمل غيابه عن ابن رُشَيد ، وهو أنَّ الاستعارة يمكن القول بها ، بالنَّظر إلى جامع الإحاطة في كلٍّ من الزربية والشاذِروان حول البيت ، فالزَّربية في معاجمنا العربية " موضع الغَنَم ، والزَّريبة : قُتْرة الرَّامي ، والزَّرابيُّ واحدتها زُرْبِيَّةٌ : من القطوع الحيرية وما كان على صنيعها "[1]، وموضع الغنم فيه إحاطةٌ حول الغنم ، والشاذِروان فيه إحاطةٌ حول البيت ؛. ومن ثَمَّ يمكن القول بإمكانية الاستعارة من هذه الجهة ، والله أعلم .

أمّا الشاذِروان – على نحو ما وضّح فيما سبق من هوامش – فهو القَدْرُ الذي تُرك في عَرْض الأساس خارجًا عن عرض الجدار خاليًا من البناء . فإنَّ قُريشًا لمّا رفعوا الأساس بمقدار ثلاث أصابع من وجه الأرض نقصوا عرض الجدار عن عرض الأساس الأول ، فبقي ذلك القَدْر من عَرْض أصل الجدار جزءًا من البيت العتيق المأمور بطوافه خارجًا عن الجدار المرتفع ، وهو ظاهرٌ لكن لا يظهر عن الحَجر الأسود .

ثالثًا– الاشتقاق :

من الجدير بالذِّكْر أنَّ الاشتقاق يُعرّف بأنَّه " توليدٌ لبعض الألفاظ من بعض ، والرجوع بها إلى أصلٍ واحدٍ ، يُحدِّد مادتها ، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد "[2] ، وقد ترك لنا القدماء كثيرًا من المؤلَّفات التي تدور حول الاشتقاق ، يتبين لنا منها أنَّهم كانوا يفرِّقون بين نوعين من الاشتقاق ، هما : الاشتقاق الصغير أو

---

(1) العين ، مادة (زرب) .

(2) دراسات في فقه اللغة ، ص 174 .

الأصغر أو ما يُسمّى بالاشتقاق العام والاشتقاق الكبير أو الأكبر[1] ، ولهذا النوع من الاشتقاق – أعني الاشتقاق الصغير – جانبان : أحدهما صرفيٌّ والآخر لغويٌّ ، فأمّا الجانب الصرفيُّ ، فيعنى بكيفية تكوين المشتقات السبعة المعروفة ، المشتقة من المصدر أو الفعل ، وهو بذلك يشبه من حيث الوظيفة ما يدرسه المحدثون تحت مصطلح **Derivation** فكلاهما يبحث في الطُرق التي يمكن بها تكوين صيغٍ بعينها من الجِذر المعجميّ . وأمّا الجانب اللغويّ ، وهو ما نريد أنْ نعالجه هنا ، فيعنى بدراسة الدلالات المختلفة لفروع الجِذر اللغوي الواحد ، ومحاولة الربط بينها ربطًا جزئيًا أو رَبْطًا استقصائيًا ، يرجع بها إلى دلالةٍ أصليةٍ (محوريةٍ) جامعة[2] .

وممّا تقدّم نرى أنّ هناك " صلةً وثيقةً بين هذين النوعين من الاشتقاق ، ولا سيما بين الاشتقاق الصغير بجانبه اللغويّ وبين علم الدلالة ، إذ إنَّهما يعنيان بدراسة الدلالات الجزئية للفروع المتولِّدة من الجِذر اللغويّ ، ومحاولة الربط بينهما والوقوف على الدلالة المحورية لها ، وهذا لا ريب من صميم مهام البحث الدلاليّ "[3] .

ولمّا كان المحدثون يتحدثون عن مصطلح (إيتومولوجيا **Etymology**) الذي يُترجم إلى عِلْم أصول الكلمات أو " عِلْم تأصيل الكلمات ... وهذا

(1) يُنظر : المزهر 1 / 346 ، وبَحثٌ في الاشتقاق ، ص 381 – 382 .

(2) يُنظر: معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ص 20 ، وفقه اللغة ص 178 ، والخصائص 2 / 134 .

(3) معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ص 21 ، ولمعرفة الاشتقاق عند المحدثين ، وتفرقتهم بين مصطلحين ، الأول مصطلح Derivation الذي يُترجم إلى الاشتقاق ، والثاني ، وهو إيتومولوجيا Etymology الذي يُترجم إلى علم أصول الكلمات أو " عِلم تأصيل الكلمات ، يُنظر : الكلمة " دراسة لغوية ومعجمية " ص 72 – 73 ، ومعاجم الموضوعات ، ص 392 – 393 .

العلم يحاول التعرُّف على تطور الكلمات ومعرفة تاريخها من حيث استعمالها في النصوص المختلفة ، حتى إنَّه يغوص في البحث داخل العائلات اللغوية المتشابهة لمعرفة هذا التاريخ ؛ لذلك حين عرَّف اللغويون هذا المصطلح بالإنجليزية قالوا : **The study of the origins and history of the form and meanings of words** ، أي أنَّه يهتم بدراسة أصول الصيغ وتاريخها ومعاني الكلمات "[1] ، فإنَّ ترجمة هذا المصطلح بعلم أصول الكلمات أو علم تأصيل الكلمات ، تمكِّننا من القول بأنَّ هذا التعريف يتصل بالشِّق الثاني من الاشتقاق الصغير عند علماء العربية ، وهو (الجانب اللغويّ) الذي يحاول الربط بين فروع الجِذر اللغوي الواحد ، إمّا ربطًا جزئيًا أو ربطًا عن طريق الاستقصاء ، مع الرجوع بها إلى دلالةٍ أصليةٍ محوريةٍ أو مركزيةٍ ؛ ومن هنا كانت تسميتنا الربط الاشتقاقي (الرجوع إلى الأصل)[2] ، وبالرّجوع إلى رحلة ابن رُشَيد وجدت أنَّ أغلب ما ورد بها يندرج تحت الربط الاشتقاقي ؛ ولذلك سأقتصر عليه .

<u>**الرَّبط الاشتقاقي :**</u>

لمّا كانت ملاحظ الربط الاشتقاقي – أو ملاحظ الربط بين فروع الجِذر المعجمي الواحد – هي الملاحظ السائدة في رحلة ابن رُشَيد (مِلْءِ العيبة) فإنَّه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ ذلك يتم حين يكون الربط ربطًا بين دلالة لفـظٍ وآخر ، ينتمي إلى نفس الجِذْر ، وقد اتَّخذ هذا الربط سبيلين ،

(1) معاجم الموضوعات ، ص 393 .

(2) يُنظر : معالم الدرس الدلالي في شرح الأنباري للمفضليات ، ص 110 – 131 ، ومنهج ثعلب في شرح ديوان زهير ص 270 .

الأول : ربط دلالةٍ حسيّةٍ بأخرى حِسيّة ، **والثاني** : ردُ دلالةٍ مجردّةٍ إلى دلالةٍ حِسيّة .

ومِمّا رُدّت فيه الدلالة المجردة إلى الدلالة الحِسيّة ما ورد في قوله : "فلمّا صلّينا الصبُح أتينا المَشعر الحرام ، فوقفنا به حتى أسفر جدًا ، ثُمّ دُفعْنا إلى مِنى .وعندما وافينا بطن مُحَسِّر – وهو وادٍ بين مزدلفة ومِنى – أُمرنا بالإسراع عنده ، وهو قدر رميةٍ بحَجَر...قال الإمام أبو عمرو ، رحمه الله : " وأوّل مُحَسِّر من القرن المُشرف من الجبل الذي على يسار الذاهب إلى منى ، ثمّ يخرج منه سائرًا إلى منى ، سالكًا للطريق الوسطى التي تخرج إلى العقبة . وليس وادي مُحَسِّر من المزدلفة ولا من مِنى . وهو مسيل ماءٍ بينهما ، قيل سُمِّي مُحَسِّرًا ؛ لأنّ فيلَ أصحاب الفيلِ حُسر في ذلك الوادي ، أي أعيا ، يُقال : حَسِر البعير ، بكسر السين ، إذا أعيا، فكأنّ ذلك الموضع حَسَر الفيل ، أي جعله يعيا ، والله أعلم . وأهل مكة يسمونه وادي النار ، يُقال إنّ رجلاً اصطاد فيه ، فنزلت نارٌ فأحرقته ، والله أعلم "[1] .

فابن رُشَيد نقل هذا النص دون تعليقٍ منه ، ممّا يدل على موافقته على مضمونه ، وفيه نلاحظ استخدام الرَّبط الاشتقاقي ؛ وذلك بردِّ دلالةٍ مُجرَّدةٍ إلى أخرى حِسيّة ، وبيان ذلك أنّ أبا عمرو ربط هنا بين فرعين من جذرٍ واحدٍ ،حيث ردّ الدلالة المجرّدة للفظ (مُحَسِّر)إلى الدلالة الحِسيّة في قولنا (حَسِر الفيل أو حَسِر البعير)، فإطلاق اسم (مُحَسِّر) على هذا الوادي ؛لأنّ فيلَ أصحاب الفيلِ حُسر في ذلك الوادي ، أي أعيا ، والعرب يقولون : حَسِر البعير ، بكسر السين ، إذا أعيا ، فكأنّ ذلك الموضع حَسَر الفيل ،

[1] ملء العَيبة 5 / 101 – 102 .

أي جعله يعيا ؛ ومن هنا نعلم أنّ الدلالة المجردة (مُحَسِّر) رُدت في تفسيرها – عن طريق رَبْطها الاشتقاقي– إلى إعياء الفيل أو إعياء البعير ، والإعياء دلالةٌ حِسيّة ؛ ومن ثَمّ كان المكوّن المشترك بينهما هو الإعياء . هذا ،وقد أُشيرَ في النّصّ أيضًا إلى أنّ أهل مكة يطلقون عليه وادي النار ، وفي ذلك أيضًا ردُّ دلالةٍ مجرّدةٍ إلى أخرى حسية ، حيث انحدرت الدلالة المجردة (وادي النار) من الدلالة الحسيّة (النار) ، ؛ ومن ثَمّ كان المكوّن المشترك بينهما هو نزول النار .

المبحث الرّابع

ملامح حُسْن السَّبْك والحَبْك من عدَمه

من البدهي التوطئة لهذا المبحث بمفهوم السَّبْك والحَبْك ، فهما المصطلحان اللذان بهما يتحقق الإفصاح والإبانة عن النّص ، وهنا يمكن الإشارة إلى أنّ معيار السَّبْك يختص " بالوسائل التي يتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النّص **surface text** ، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزّمنيّ ، والتي نخطُها أو نراها بما هي كمٌ متّصلٌ على صفحة الورق . وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النّحويّة ، ولكنّها لا تشكّل نصًا إلا إذا تحقق لها من وسائل السَّبْك ما يجعل النّص محتفظًا بكينونته واستمراريته . ويجمع هذه الوسائل مصطلحٌ عامٌ هو الاعتماد النّحويّ **grammatical dependency** ، ويتحقق الاعتماد في شبكةٍ هرميةٍ ومتداخلةٍ من الأنواع هي :

(1) الاعتماد في الجملة **intra – sentential**

(2) الاعتماد فيما بين الجمل **inter-sentential** .

(3) الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة .

(4) الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات .

(5) الاعتماد في جملة النَّص "[1] .

ومعنى ذلك أنَّ نحو اللغة العربية والعمليات النَّحويّة نفسها داخل النَّص – مثل الحذف – جزءٌ من السَّبْك ، بالإضافة إلى انتقاء المفردات ، وهو ما جعل كلاً من هاليداي ورقية حسن يقسّمانه إلى سبك نحويٍّ وآخر معجميّ[2] . ولمّا كان السَّبْك (التلاحم النَّصيّ) يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص ، فإنَّ معيار الحَبْك (التماسك النَّصيّ) " يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النَّص **textual world** ، ونعني بها الاستمرارية الدلالية ، التي تتجلى في منظومة المفاهيم **concepts** والعلاقات **relations** الرَّابطة بين هذه المفاهيم . وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجًا وإبداعًا أو تلقيا واستيعابًا ، وبها يتم حبك المفاهيم من خلال قيام العلاقات (أو إضفائها عليها إن لم تكن واضحةً مستقلةً) على نحوٍ يستدعي فيه بعضها بعضًا ، ويتعلَّق بواسطته بعضها ببعض "[3] .

والجدير بالملاحظة أنَّ السَّبْك والحَبْك لم يكن من مصطلحات المحدثين شرقيين ، وغربيين فحسب ، بل وجِدَ المصطلحان عند القدماء أيضًا في حديثهم عن تلاحم الشعر وجودته ، يقول الجاحظ مثلاً : " وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فيُعلم بذلك أنَّه أُفْرِغ

(1) نحو أجرومية للنص الشّعْريّ ، ص 154 ، ويُنظر : الرّحلة في الأدب العربي ، ص 68 .

(2) see: cohesion in English ,p p, 299-328,393,596.

(3) نحو أجروميةَ للنص الشّعْريّ ، ص 154 ، ويُنظر: من أشكال الرّبْط في القرآن الكريم ، ص91 ، والنصُّ الغائب " تجليات التناصّ في الشعر العربي " لمحمد عزام ، ص 53 ، حيث يرى أنَّ علماء النصّ قد أعطوا للتماسك أهمية قصوى ؛ لأنه يعني عندهم خاصية دلالية للنص ، تعتمد على فهم كلّ جملة مكونة للنصّ في علاقتها بالجمل الأخرى ، وأنّ بلاغتنا العربية القديمة قد عنيت بالتماسك ، فخصصت له بحثًا مستقلاً هو (الفصل والوصل)، ودرست مستوى الترابط القائم بين وحدتين من القول .

إفراغًا جيدًا وسُبِكَ سبكًا واحدًا ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان "[1]. وقد عقد أسامة بن منقذ في كتابه البديع في نقد الشعر بابًا بعنوان " الفك والسَّبْك "، معرِّفًا السَّبْك بقوله : "وأمّا السَّبْك ، فهو أنْ تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ، كقول زهير :

يَطْعَنُهم ما ارتَموا حتَّى إذَا اطَّعنوا   ضَارَبَ ، حتَّى إذَا مَا ضَارَبُوا اعتنقَا

ولهذا قيل : خير الكلام المحبوك المسبوك ، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"[2] .

وبناءً على فَهْم القدماء للسبك والحَبْك يقول الدكتور تمام حسان "السَّبْك إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهةٍ ، وقرينة الرَّبْط النَّحويّ من جهة أخرى ، واستصحاب الرتب النَّحويّة إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأُسلوبيّ ، ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل "[3] .

هذا ، وقد طُبِعت رحلة ابنُ رُشَيد بكثيرٍ من المواضع والملاحظات التي تندرج تحت حُسْن السَّبْك والحبْكِ أو عَدم حُسْنه ، سواءٌ أكان ذلك في أسلوبه أم في تعليقاته على الأبياتِ والقصائد[4] ، ومن ذلك قوله : "وممّن لقيناه بثغر الإسكندرية – حماها الله تعالى – في قفولنا ، من طلبتها الأديب جمال الدين محمّد بن محمّد بن الجابي البزّازِ . أنشدني لنفسه ، وأملاه عليّ ، يُخاطب شمس الدين أبا عبد الله بن النعمان ، رحمه الله . وهذا

(1) البيان والتبيين 67/1 ، ويُنظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصية ، ص77-78.

(2) البديع في نقد الشعر، ص163 ، والبيت من البسيط التام ، عروضه تامة مخبونة ، وضربه كذلك . ويُنظر البيت في ديوان زهير ، بشرح ثعلب ، ص 54 .

(3) موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية ، ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) العدد 59 ، المجلد الآخر ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، 1990 ، ص 789 ، ويُنظر في كلّ ما تقدّم : ربْط الجملة الفرعية بالضمير أو بالواو ودوره في السَّبك والحبك ص 14 وما بعدها .

(4) يُنظر : مِلْء العَيبة .

الشأن بالإسكندرية ضعيفٌ ، ولم يبـقَ بها بعد فقدِ ناصر الدين بن المنير – رحمه الله– مَنْ يعتَبر :

1 عَـرِّجْ بِبـابِ المُنْحَنَـى وقِبـابِهِ ... واسألْ أُهَيْلَ الحيِّ عَنْ أعْرابِهِ
2 وَانْشُـدْ فُـؤادَ مُتَيَّـمٍ قَلِقِ الحَشَا ... يَشْكُـو الجَفَا والبُعْدَ منْ أحْبابِهِ
3 وَاقْرَ السَّـلامَ على الحبيبِ وقُلْ لَهُ ... صِـلْ والهًـا تَحْظَ غَدًا بثوابِهِ
4 اعْطِـفْ وَجُـدْ وارْحَمْ كَئيبًا مُدْنَفًا ... قَـدْ صَـرَّحَتْ عُـوادُه بِذَهابِهِ
5 قَـدْ قَـرَّحَ الدَّمْعُ المَصُونُ جفُونَهُ ... وَتَبَـرَّحَتْ أحْشـاؤُهُ بِمُصَابِـهِ
6 لا يَسْتَطِيعُ تصبُّرًا عَنْ وَصْلِ مَـنْ ... يفتَـرُّ عن بَرَدٍ ومِسْكٍ رضابِهِ
7 أتُرَى أرى الوَجْهَ الجميلَ ويشتَفي ... قَلْبِـي المُعنَّـى منْ لذيذِ عتابِه
8 يا عـاذلي دَعْنـي فَلَو عايَنْتَ مَا ... عايَنْتُـهُ منْ لَفْظِـه وخطـابِه
9 لَعَـذَرْتَنِي ونَظَـرْتَ حُسْنًا بارِعًا ... ورَأيْـتَ ألْفـاظًا أتَت بكتابِـه
10 هذا ابْـنُ نُعْمانَ الَّذِي كُلُّ الوَرَى ... يَبْغونَ عِلْمًـا نـازِلِينَ ببـابِهِ
11 شَمْـسٌ لِـدِينِ اللَّه ، حافظُ عِلْمِه ... بـرٌّ ، تقـيٌّ ، زاد في آدابِـه
12 قُطبُ الزَّمان،ومَنْ علا فَوقَ العُلى ... صافي الأداةِ فَفازَ مَنْ يُعنى به
13 يـا واحـدًا في عَصْـرِه وزمانه ... يا مُنْعِمًـا في بُعْـدِهِ وإيـابِهِ
14 بـادَرْتَ تشْـرِيفًا فَـزِدْتَ جلالةً ... ورُقِّيْـتَ عِـزًّا يا أجَلَّ صِحابِه
15 مَـنْ رامَ مَدْحَـكَ فهو عنهُ عاجزٌ ... مـاذا يقـول وأنتَ فوق جوابِه

انتهت القصيدة . وهي وإنْ كان في بعض أبياتها لطافةٌ وحلاوةٌ ، وعلى بعضها طلاوةٌ ، فهي عديمة التلاؤم ، غير متناسقة الأبيات "[1] .

وقبل تناوُلِ تعليق ابن رُشَيد وبيان كُنْه هذه الأبيات نوطِّئ بتوطئةٍ متبوعةٍ باحترازٍ ، فأقول : إنَّ البيتَ في الشعر العربي القديم يُعتبر هو الأساس الذي تقوم عليه (وَحْدة القصيدة) لا(الوَحْدة الموضوعية) أو

[1] ملء العيبة 5 / 403 – 404 ، ويُنظر أيضًا 2 / 116 هامش 1 ، 117 ، 124 ، 126 ، 149 ، 164 ، 190 ، 207 ، 386 ، 5 / 89 ، 93 ، 126 ، 193 ، 220 .

(العضوية) التي يجعلها النقد الحديث معيارًا لتقييمه ، وخاصيةً عظيمةً ترقى بسماته وخصائصه . وممّا لا شكّ فيه أنَّ اعتبار البيت وَحْدةَ القصيدة جعل معظم الشعر العربي يفقد التلاؤم والتناسق في أيِّ نصٍّ ، وذلك فيما يلي :

أ – عدم ترتيب الأفكار ، وهو الأمر الذي يجعلها غير متسلسلة ، ومعنى التسلسل أنْ تُمْسك كلُّ فكرةٍ بزمام أو عناق الفكرة التي تليها ، والتي تليها إلى الأخـرى ، بحيث يشعر المتلقي بالترابط الوثيق بين الأفكار ، بل إنْ شئت فقُلْ بين الأبيات جميعها .

ب – يجوز التقديم أو التأخير في أبيات القصيدة الواحدة ، والحذف دون شعور باختلال بيِّن في المعنى .

جـ– عدم المواءمة بين المعاني والألفاظ ، من حيث الجزالة والفخامة أو الرِّقة والعذوبة ، وهو الأمر الذي يُحدث اضطرابًا معنويًّا في مشاعر وأحاسيس المتلقي ، بالإضافة إلى عدم مواءمتها للجو النفسي للأفكار والمعاني ؛ ومن ثَمَّ جِدِّية السَّبْك والحَبْك في القصيدة .

وممّا لا شك فيه أنَّ المضمون الفنيَّ يختلف عن المضمون العلميِّ ، فالأوّل نتعامل معه من خلال حاستنا بالدرجة الأولى ، بعكس الثاني الذي نتعامل معه بالعقل ، فالحاسة نافذةٌ يدخل منها نور التذوق إلى كياننا ومراكز شعورنا ، وتنقل إلينا مختلف الصور ، وتحرِّك مشاعرنا بما تحمله الصور من ألوان التأثُّر والانفعال . والتذوق ملكةٌ في الإنسان ، يُقدِّر بها شيئًا أو أسلوبًا تصويريًّا ، وهذه الملكة تختلف من فردٍ إلى آخر، فلو طُلبَ من عددٍ من المتذوقين تصوير شعورهم تجاه عملٍ فنِّيٍّ واحدٍ

سنجد نتائج مختلفة لتذوقهم، واختلافًا في الأحكام ؛ لأنَّها أحكامٌ نابعةٌ من شعورٍ في النفس ، لا نتيجة في برهان .

والأحكام التي تتصف بالتعميم – في معظم الأحيان – تخلو من البرهان الذي يعزِّز الحُكم ، كما فعل ابن رُشَيْد ، فقال " في بعض أبياتها لطافةٌ وحلاوةٌ ، وعلى بعضها طلاوة " ، فهو يعتمد على الذَّوق ، والذَّوق عنصرٌ شخصيٌّ ، فيه تحكُّمٌ فرديٌّ ، لسنا ملزمين به ، فقد نختلف معه كما نتفق ، فالأدب – والشعر منه – بطبْعه فنٌّ جميل ، والجمال بطبعه لا يُقنَّن له .

بعد هذا الاحتراز نعود إلى الأبيات موضوع النظر والدراسة ، فيصادفنا إشكالٌ : هل نُعلِّل للَّطافة والحلاوة والطلاوة بذوقنا نحن ، وبمقاييس عصرنا ، أم نحذف العالم الموضوعي الخارجي ، ونتعامل بما كان سائدًا في عصر الشاعر ؟ لحلٍّ هذه الإشكالية أرى أنْ نتعامل مع النصِّ نتلمَّس فيه مواطن الجمال تاركين الحكم في هل يمثِّل ذلك ذوق ابنَ رُشَيْدٍ أو لا يمثِّله ، ثُمَّ نُعرِّج بعد ذلك على عدم تلاؤمها أو عدم الدِّقة في سَبْكِ وحَبْكِ أبياتها من بعض الجوانب .

فالأبيات بدأت بالمقدِّمة الطللية المعروفة ، دفع الشاعر إليها حِرصُه على المحافظة على هيكل القصيدة والطابع الشعري المأثور ، مُهملاً لغة الواقع التي تصلح للتعبير عنه ، ومكرِّرًا لمنهج محدَّدٍ ، ورثه ، يتكرَّر عبر العصور ، لا يملك الشاعر أنْ يخيد عنه ، على اعتبار أنَّه من الفنون الأصيلة التي ينبغي أنْ ينظم فيها ، فالطلل تقليدٌ فنِّيٌّ من تقاليد القصيدة ، حتى لو فقد دواعيه في البيئة الحضرية .

ولعلَّ الشاعر يذكره هنا على سبيل الرمز أو المجاز ، فهي – المقدمة الطللية – نَهْجٌ وقالبٌ ورؤيةٌ صعبٌ الخلاص منها عند الشاعر، وعند

المتلقي في آنٍ واحدٍ ، فالشاعر يطلب الوقوف على رَبْع المحبوبة ، ويطلب سؤال أهل الحيِّ عن ساكنيه ، ويصوِّر لوعته وآلامه ؛ ليمضي في البيت السابع في ذِكْر صاحبة الطلل ، فيتمثَّل طيفها على صفحة عقله ، في عالمه الداخليّ ، فيعبر بين عالمين ، عالم الحاضر ، وعالم الماضي الذي نَعِم فيه بلفظها وخطابها . إنَّه يعبُر بين القُرْب والبُعد ، بين القوة والضعف ، ويتساءل يومًا ، فيلتقي بصاحبته ذات (الوجه الجميل) و(مسك الرُّضاب) ،إنَّه رثاءٌ لحياةٍ قديمةٍ ، وطلَبٌ لأخرى ، يتمنى أنْ توجد من جديد . إنَّها دلالات خاصة تعبث بعقل الشاعر ، تثير فيه الصبابة والشوق إلى ساكنة الحيِّ وأهلها ، فيبكي حتى (قَرَّحَ الدَّمْعُ المَصُونُ جفُونَهُ) و(تَبَرَّحَتْ أَحْشَاؤهُ بِمُصَابِهِ) ، إنَّه يستسلم للأحزان والأوجاع التي تُدمي القلوب ، هكذا كان طلب تساؤل الشاعر في البداية للحيِّ وأهله يعكس رغبته العميقة في الحديث عن المحبوبة التي تنتمي إلى هذا الحيِّ انتماءً مباشرًا .

بعد ذلك ينتقل في غنائيةٍ عاليةٍ وتفجُّرٍ عاطفيٍّ للحديث عن الممدوح ، وكأنَّه يربط بين عاطفةٍ وعاطفة ، مع الفارق البيِّن بينهما ، فهو يحبُّ ابن النعمان لحفْظ دين الله والعلم ، ولبرِّه وتقواه ، ولعزِّه وشَرَفه ، وخصالٍ يعجز المادح له عن مدحه ، إلاَّ أنَّه في الأبيات التي يمدح فيها ابن النعمان نلاحظ أنَّه وقع – إلى حدٍّ مَا – في النثرية ، حيث اهتم بالمضمون العقليّ على حساب الإيحاء ، بينما نجد تعاليًا عن نطاق الحياة بمفرداتها المحددة في أبيات المحبوبة .

أمَّا عن اللَّطافة والحلاوة – أو ما يمكن أنْ يُسمى بحُسْنِ السَّبْكِ والحَبْكِ – فإنَّ ذلك يمكن التمثيل له فيما يلي :

1 – في البيت الرابع نجد ثلاثة أفعال أمْرٍ متوالية ، هي (اعطف وجُدْ وارْحَم) ، وهي في مجملها تعكس التلهُّف المشبوبَ واللوعة وما وصل إليه من حال، فشدّة الوجْد ستقضي عليه كما قال العُوَّاد ، ويُلاحظ أنَّ توالي الأفعال فيه شيءٌ من المنطقية ، فالعطف يؤدِّي إلى الجود ، والجود بالنسبة له هو المنتظر ، ففيه الرحمة له ، وقد اجتمع عليه أمران ، هما الكآبة والمرض ، فأصبح منسحقًا تحت وطأة العِلّة إلى حدِّ توقُّع العُوَّاد لرحيله عن الحياة .

2 – في البيت الحادي عشر نلمس براعةَ الشاعر في الجمع بين عدد من الصفات في بيتٍ واحد ، وتلك الصفات تُرشِّح للبيت السابق عليه ، فابن النُّعمان يُنزل ببابه كلَّ مَنْ يطلب عِلْمًا ؛ لأنَّه جمع بين أنْ يكون شمسًا لدين الله وبين كونه حافظًا لعِلْمه وكونه برًّا وتقيًّا ، وتعتبر كل الأبيات التي جاءت بعده ترشيحًا له ، إلى جانبَ ذلك ما تحمله الأبيات من قِيَمٍ تعبيريةٍ ، وقيمٍ شعورية، وألوان التصوير التي لا تخفى على مَن يلتمسها .

3 – ولمّا كــان الضمير رابطا إحاليًا ، فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ ثمة تراكيب يكون الرَّبْط فيها بالضمير، أو بغيره، نحو جملة الحال ، وجملة الصفة ، وجملة الصلة ، وجملة الخبر ، وبدل الاشتمال ، وبدل البعض من الكل ، والتوكيد المعنوي . وهذا الرَّبْط بالضمير يعدُّ فرعًا عن الظاهر إذ إنَّ الظاهر أصلٌ والضمير أحدث عمرًا في اللغة منه[1] ؛ ومن ثَمَّ فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ إحلال المضمر محل الظاهر يتصل بما يسمى عند النَّصيين بالبنية الإحالية في النُّصوص أو قضية الإشارة والإحالة في الكلام .

(1) يُنظر : فلسفة الضمير ، ص 24 – 25 ، 26 وأمالي ابن الشجري 2/6-7 ، وحول الروابط ودورها في سَبْك بنيةَ القصيدة وحبْكها يُنظر : قصيدة كعب بن سعد الغنويّ "دراسة وسائل سَبْك وحَبْك النص " ، ص 24 – 100 .

وبالنظر في الأبيات موضع الحديث تبين لي أنَّ الرَّبْط بالضمير في جملة الحال والصفة والصلة والخبر – أي رَبْط الجملة الفرعية – قد شكّل جانبًا من جوانب حُسْن السَّبْك والحَبْك بها[1] – وهو الأمر الذي طبع أسلوب ابن رُشَيدٍ نفسه على مدار رحلته[2] – وكان أكثر رَبْطٍ بالضمير في الجملة الفعلية ، ومثال ذلك ما جاء في قول الشاعر :

يا عاذِلي دَعْني فَلَو عايَنْتَ مَا عايَنْتُهُ مِنْ لَفْظه وخِطابه

ففي قوله : (عايَنْتَ مَا عايَنْتُهُ) نلاحظ أنَّ الموصول الاسمي المشترك (ما) في محل نَصْب ، على المفعولية ، يُشترط في صلته أنْ تشتمل على عائد ،يعود على الموصول ،وذلك للربط بين المفهومين ،أعني بين الموصول وصلته[3]؛ ومن ثَمّ جاءت جملة(عايَنْتُهُ) الفعلية الخبرية المثبتة ، ذات الفعل الماضي صلةً للموصول ، موضحةً إيَّاه ، مرتبطةً به عن طريق الضمير البارز(الهاء) المفعول به في(عايَنْتُهُ) ، وفيه نلاحظ أنَّه طابق الموصول مراعاة للَّفظ ، وهو الأكثر ، فكان هذا الضمير بمثابة حلقة اتصالٍ بين المفهومين ،وحصل به الرَّبْط بين الموصول وصلته ؛ ومن ثَمَّ اتضح مفهوم الموصول بالصلة ،فكان الرَّبْط وسيلةً ، تحققت بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص(السَّبْك)؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص (الحَبْك) ، ففي "هذا التلاحم يتحقق الاعتماد المتبادل بين المعيارين على نحوٍ تتجلى به الحَبْكة المضمونية في بنيه ظاهر النَّص، كما يُعين ظاهر النَّص على تحقيق الحَبْكة المضمونية، وبكليهما تتحقق

(1) يُنظر الأبيات أرقام 2 ، 4 ، 5 ، 6 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12 ، 15 .
(2) يُنظر : مِلْء العَيبة 2 / 296 ، 5 / 17 ، 18 – 22 ، 37 ، 84 ، 104 ، 105 ، 113 ، 257 ، 276 ، 281 ، على سبيل المثال ، ففيه تَجد سَبْكًا وحَبْكًا في أسلوب ابن رُشَيد ، من خلال رَبْطِ الجملة الفرعية بالضمير أو بالواو ، وغير ذلك من أنواع الربط ، ووسائل السَّبْك والحَبْك على مدار الكتاب .
(3) المقتضب 1/19 ؛ ويُنظر به أيضًا: 2/ 295 ، 3/130 ، 252 ، 253 ، وهمع الهوامع 1/283 ، وشرح الأشموني 1/207 – 208 .

استمرارية النَّص صياغةً ومضمونًا "[1] ، يضاف إلى ذلك أنَّ هذا الضمير البارز قد أسهم في استقامة الوزن وصِحّة القافية ، فالبيت من الكامل ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

يا عاذلي /دَعْني فَلَو / عايَنْتَ مَا   عايَنْتُهُو/مِنْ لَفْظِهي / وخطابهي

مُتَفـاعِلُن/ مُتَفـاعِلُن/ مُتْفاعِلُن   مُتْفـاعلُن/مُتَفـاعلُن / مُتَفَاعِلُن

ومن خلاله نلاحظ أنَّ مطّلب العروض يقتضي ذِكْر الضمير الرَّابط وعدم حَذْفه ،ممّا يؤكِّد إسهامه في استقامة الوزن ؛ومن ثَمَّ صحّة القافيةِ ، فاتّضح أنَّ للربط بالضمير فاعليته في مكانه ، سواءٌ أكان ذلك في ظاهر النَّص أم في عالمه ، وهو ما يترتب عليه القول بإسهامه في الإبقاء على ما تبقى من حُسْن سَبْكِ النَّصِّ وحَبْكِه ، أي في حُسْن السَّبْك في ظاهر النَّص ،فتحققت الاستمرارية المبنية على إقامة المباني النحوية ؛ومن ثَمَّ تحققت الاستمرارية الدلالية (الحَبْك)، فبدا المعنى واضحًا .

أمَّا عن عدم التناسق في الأبيات أو عدم الدِّقة في سَبْكِها وحَبْكِها ، فإنَّه يمكن القول : إنه إذا قيست القصيدة التي أمامنا بهذا المعيار النقدي الذي لم تقتصر الفطنة إليه على النقاد المعاصرين ، بل قد فطن إليه من قبلُ النقاد القدامى ، من أمثال أبي علي الحاتمي وابن قتيبة ، فقد تكون الملاحظات الآتية هي التي أفقدتها التلاؤم والتناسق أو السَّبْك والحبْك من بعض الجوانب :

1 – البيت الثاني ، وهو قوله :

وَانْشُدْ فُؤَادَ مُتَيَّمٍ قَلِقِ الحَشَا   يَشْكُو الجَفَا والبُعْدَ مِنْ أَحْبابه

كان الأفضل أنْ يُضَمّ إلى البيت الخامس والرابع ؛ لجَمْع شتات الفكرة التي تدور حول إظهار ما عليه حال الشاعر من أسى الفراق وهَجْر الحبيب .

[1] نحو أجرومية للنص الشّعري ، ص 155 .

2 – البيت الثالث حقُّه أنْ يكون الثاني،والثاني حقُّه أنْ يكون الثالث ؛ لأنَّ الإنسان يبدأ بإقراء السلام ، ثُمّ يأتي بعد ذلك ما يطلبه القادم .

3 – الرَّبْط بين البيت الثالث والبيت الرَّابع بالواو العاطفة التي تفيد المشاركة مع وجود الجامع ، فأسلوب البيتين إنشائيٌّ ، أضف إلى ذلك أنَّ الوزن العروضيَّ لن ينكسر لو قال : (واعطف) .

4 – عدم تأخير البيت السابع ،وهو قوله :

أَتُرَى أرى الوَجْهَ الجميلَ ويشتفي   قَلْبِي المُعَنَّى مِنْ لذيذِ عِتابه

وذلك إلى ما بعد البيت التاسع مباشرة ، وهو قوله :

لَعَذَرْتَنِي ونَظَرْتَ حُسْنًا بارعًا   ورَأَيْتَ أَلْفاظًا أتت بكتابه

فهذا التأخير يُحدث شيئًا – ولو قليلاً – يكون تمهيدًا لانتقال الشاعر من فكرة الغزل إلى فكرة المدح ، فقد أحدثت القفزة التي قفزها بين الفكرتين فجوةً كبيرةً في التسلسل بين الأفكار ، ممّا أفقد القصيدة تلاؤمها ، فقد انتقل الشاعر من الغزل إلى المدح دون تمهيد .

5 – لمّا كنّا قد أشرنا إلى أنَّ البيت السابع حقُّه أنْ يكون بعد التاسع مباشرة ، فإنِّي أشير هنا إلى أنَّ البيت الخامس عشر (الأخير) حقُّه بعد البيت التاسع – وذلك بعد تأخير السابع إلى التاسع- فابن نعمان يقصده كلُّ الورى طلبًا لعلْمه ، ومثل هذا يعجز المادح عن مَدْحه ؛ ولذلك يقول :

مَنْ رامَ مَدْحَكَ فهو عنهُ عاجزٌ   ماذا يقول وأنتَ فوق جوابه

6 – إذا كان بعض العروضيين يستقبحون (التضمين) الذي لا يتم الكلام إلاّ به ، كجواب الشرط والقسم والخبر والفاعل والصِّلة ونحوها ، فإنَّ في القصيدة تضمينًا من هذا النوع ، فجواب شرط (لو) في البيت الثامن وقع في صدر البيت التاسع (لَعَذَرْتَنِي) . لكنّي لا أعدُّه عيبًا ، بل

أراه ملمحًا دقيقًا في الترابط النَّصيّ[1] ، على المستويين الرأسيّ والأفقيّ ، فلمّا ضاق البيت عن تحمُّل المعنى الذي أراده الشاعر لجأ إلى التضمين، فبدأ بأداة الشرط (لو) غير الجازمة ، وأتبعها بجملة الشرط ذات الفعل الماضي المثبت المقيد بإسناده إلى فاعله ثم المفعول ، هذا المفعول (الموصول الاسميّ المشترك : ما) قد بينه الشاعر بجملة الصلة الفعلية الخبرية المثبتة (عاينته من لَفظه وخطابه) .

وبعد هذه السكتة التنغيمية الواضحة ، القليلة نسبيًا بين أداة الشرط وجملته – وما اكتنف هذه السكتة من متعلقات بجملة الشرط – وبين الجواب ، يأتي الجواب (لَعَذَرْتَني) المُشْبِعُ انتظار المتلقي وشغفه "ذا وضوح نغمي يحدِّد المراد من الكلام ؛ لأنَّه مناط تمام الفائدة في أسلوب الشرط ، فالأسلوب دونه ناقصٌ محتاج إليه"[2]. هذا الجواب (لَعَذَرْتَني) مترتبٌ على الجملة الأولى جملة الشرط ، ممّا أدّى إلى القول بـأنَّ التنغيم في أسلوب الشرط قرين الجواب حين جاء مرتَّبًا ترتيبًا طبيعيًا[3] ؛ ومن ثَمَّ أسهم هذا التضمين في الترابط النَّصِّي في هذه الأبيات .

7 – البيت الثاني عشر ، وهو قوله :

قُطبُ الزَّمان ، ومَنْ علا فَوقَ العُلى صافي الأداةِ فَفازَ مَنْ يُعنى به

ألفاظه يشوبها شيءٌ من عدم المواءمة بينها وبين المعاني ، فلو قال: (صافي الوداد) – على سبيل المثال – بدلاً من (الأداة) لكان أفضل ، ثُمَّ

[1] يُنظر : الجملة في الشعر العربي ص194 ، والتضمين العروضي في الطويل وبناء شعر الأعشى ، ص 14 – 16 ، 51 – 64 .
[2] من وظائف الصوت اللغوي " محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي " ، ص68 .
[3] يُنظر: السابق ص69 ، والتضمين العروضي في الطويل وبناء شعر الأعشى ، ص 53 .

أنَّه أقحم (الفاء) على الفِعل (فاز) بدون ضرورةٍ تُذْكَر من ترتيبٍ أو تعقيب ، فلو قال :(صافي الوِداد يفوز مَنْ يعنى به) لكان أفضل وألطف .

8 – تكرارُ معنى البيت السابق الثاني عشر في البيت الثالث عشر أفقد الأخير نصاعته ، وأوجد فيه رتابةً ، فقُطب الزمان هو المتفرِّد بجمال الخصال البشرية ، وهو نفسه ما يحمله قوله : (يا واحدًا في عصره وزمانه) من معنًى ، في البيت الذي يليه .

وبعد ، فلعلَّ الملاحظات السابقة هي التي حدت بابن رُشَيد أنْ يذكر ما ذكره من أنَّ القصيدة وإنْ كان في بعض أبياتها لطافةٌ وحلاوةٌ وعلى بعضها طلاوةٌ ، فهي عديمة التلاؤم غير متناسقة الأبيات ، أو أنَّها لا تتمتع بحُسْنِ السَّبك والحَبْك من بعض الجوانب ، على نحو ما مُثِّل به ، وذلك على الرَّغم ممّا فيها من جوانب، تندرج تحت وسائل حُسْن السَّبْك والحَبْك.

المبحث الخامس

التَّناص ودوره في التجلِّي النَّصيِّ

في هذا المبحث أو هذه الصفحات سنعرض لخاصيةٍ لفظيةٍ من خواص نصِّ ابن رُشَيد ، بالإضافة إلى وعيه بها ، فيما يعنُّ له من نصوص ، وهي التداخل النَّصِّيّ أو ما يُسمى بالتَّناصّ INTERTEXTUALITY، وهو مصطلح نقديٌّ ، يرادفه (التفاعل النصّي) ، و(المتعاليات النصّية) TRANSTEXTUALITY [1] . وهو أمر يكاد يكون موجودًا في أيّ نصٍّ كلاميٍّ ، سواءٌ أكان شعرًا أم نثرًا، وهنا أشير إلى أنَّ البحث عن التداخلات النصية ليس عمليةً بوليسيةً لإمساك الكاتب متلبِّسًا بارتكاب

[1] يُنظر : النصُّ الغائب " تَجلِيات التناصّ في الشعر العربي " ص 28 .

التناص ، بل هي عملية خلقٍ ومعرفةٍ في آنٍ واحد ، وهي تدخل بعمقٍ في صلب العملية اللغوية ذاتها[1] .

وممّا لا شك فيه أنّ " مفهوم (التناص) يعود إلى (جوليا كريستيفا)، والتي كانت متأثرة فيه بآراء (باختين) في الحوارية ؛ وهي تقصد منه التفاعل ، والتداخل اللذين بين النصوص ، وأثرهما في دلالة الكتابات التي تحتضنه ؛ وقد شاع المصطلح ، واستُهلك بشكلٍ واسعٍ حتى اختلط بمفاهيم أخرى ، مثل التضمين ، والاقتباس وغيرهما ؛ إلاّ أنّه متميزٌ عن هذه المفاهيم ، وكانت (جوليا كريستيفا) تريد تبديله بمصطلح (نقل دلالي)، أو (تحول دلالي)؛ لإظهار وظيفته ، كتفاعل دلاليٍّ بين النصوص، ينتج عنه (تحوّلٌ) في معانيها إذ إنّ (التناص) في حقيقته هو (تولُّد) نصٍّ عن نصٍّ آخر، وبالتالي دخوله في علاقة معه ، هي علاقةٌ حواريةٌ، وسيميولوجية علاميةٌ "[2] ، وهنا أشير أيضًا إلى أنّ " (التناص) ، أو التداخل النصي في الكتابة ، له وظيفة تنظيميةٌ ، إذ أنّه يظلُّ متّصلاً بعمليتي الامتصاص والتحويل ، الجذريين أو الجزئيين ، للعديد من النصوص الممتدة في نسيج النص ، وهو الأمر الذي جعل دراسته تتطلب (مقاربة) ترى في هذه النصوص (حوارًا) لممارساتٍ متنوعة ، وإنّ (جوليا كريستيفا) في هذا الخصوص تتوسع بمفهوم (حوارية) الخطاب ، وهو مفهوم يعود إلى باختين، فتجعل منه مفهوم (تعددية) الخطاب "[3] .

ومن الجدير بالذِّكْر أنّ مفهوم التناص " يستمدُّ قيمته النظرية وفعاليته الإجرائية من وقوفه في نقطة تقاطع (تلاقي) التحليل البنيويّ للنصوص

[1] يُنظر : تحليل النص السردي ، معارج ابن عربي نموذجًا ، ص 94 – 95 .
[2] النصُّ والأسلوبيّةَ بين النظريةَ والتطبيق ، عدنان بن ذريل ، ص 85 هامش 11 ، ويُنظر : النصُّ الغائب " تجليات التناصّ في الشعر العربي " ص 28 .
[3] السابق ص 22 .

والأعمال الأدبية بصفةٍ عامة ،بوصفها نظامًا مغلقًا ،لا يحيل إلاّ إلى نفسه، مع نظـام الإحـالة (أو المرجع)، بوصفه مؤشّـرًا على ما هو خـارج – نصّيّ ، وتحكُّمه في إنتاج النصوص وتوالدها المستمر، بوصفها كتابة وملفوظات وفضاءات رمزية "[1]. والتناص الذي سنمثّل له لدى ابن رُشَيد يمكن النظر إليه من زاويتين،إحداهما التداخل النصي دلاليًا وتركيبيًا مع غيره من النصوص– نحو القرآن والحديث وغير ذلك ، بالإضافة إلى إشاراته للتداخل النصّي بين النصوص – والأخرى القصدية[2] .

أمّا عن ملامح التناص عند ابن رُشَيد ، فيمكن التمثيل لذلك بقوله : "ووصينا لِمَن تلقاها منّا ، وأخـذها عنّا أنْ يفي لله تعالى بعهودها حلاًّ وعقـدا ، وأنْ يقوم بحـدودها صَـدَرا وورْدًا ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[4]... وجماع الأمر تقوى الله تعالى سرًّا وجهرًا، والعمل بطاعته نهيًا وأمرًا ، قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] ... وتَرْك الشُبهات قولاً وفِعْلاً ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : (مَنْ اتّقى الشُبهاتِ استبرأ لدينه وعِرْضَه) . وأخْذُ النفس بالتوسُّط في أحوالها دنيا ودينًا بين طرفي النقيض من تدلٍّ أو عُلوٍّ . وطَرْحُ التكلُّف أو الإهمالِ في الأمور

[1] تحليل النص السردي ، معارج ابن عربي نموذجًا ، ص 93 .
[2] يُنظر : السابق : ص 97 – 98 ، 100 .
[3] سورة النحل ، الأية 91 .
[4] سورة البقرة ، من الأية 40 .
[5] سورة المائدة ، من الأية 100 ، ويُنظر : هامش 899 من ملءَ العيبة 2 / 372 .

بتقصيرٍ أو غُلُوّ . وفي القصد لمَنْ فهم عن الله تعالى بُلغة ، والتشوُّق من حالٍ إلى حالٍ نزعة ، ولله درُّ القائل :

إذا شئتَ أنْ تحيا سعيدًا فلا تكُنْ — على حالةٍ إلاّ رضيت بدونها "[1]

فهذا النص يتداخله التناص تداخلاً صريحًا ، حيث توالد النصُّ من نصوصٍ أخرى ؛ ومن ثَمَّ تفاعل معها ، فهو في سياق تعداده للشيوخ الذين لَبِسَ منهم خِرْقَةَ التبرُّك أو الخرقة المباركة ، فيوصي مَنْ أخذها عنه أنْ يفي لله تعالى بعهودها حلاً وعقدا ، وأنْ يقوم بحدودها صَدَرا ووِرْدًا ، وهو ما جعل أسلوبه يتوالد مع القرآن الكريم مستشهدًا به ، فيورد قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾ ، ليؤكِّد على المعنى المفهوم من الآية ، وهو " أوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه ، وعقْده إذا عاقدتموه ، فأوجبتم به على أنفسكم حقًّا لمَن عاقدتموه به ، فاستكبرتم عليه... ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان ، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم ، وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيًا ، يرعى الموفى منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به "[2] .

ولم يقتصر ابن رُشَيد على ذلك ، بل توسّع في التناصِّ ، فأورد قوله تعالى :﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ مشيرًا إلى أنَّ جماع الأمر تقوى الله تعـالى ســرًّا وجهــرًا،والعمل بطاعته نهيًا وأمرًا ، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

---

[1] ملء العيبة 2/ 371 – 373 ، ويُنظر به أيضًا : 2 / 117 ، 149 ، 342 ، 396 ، 5 / 2 ، 15 ، 18 – 21 ، 81 ، 139 ، 156 ، 157 ، 278 ، 342 ، حيث تداخله نصيًّا مع كثير عزّة ، وامرئ القيس ، والحارث بن حلزة ، والمتلمّس ، والمتنبي ، وابن أبي الحديد ، وغيرهم من المشهورين والمجهولين .

[2] تفسير الطبري ، 14 / 164 .

هذا،وقد واصل ابنُ رُشَيد توسُّعَه في التناصِّ مستخدمًا ذخيرته الثقافية في تزيين رحلته ، فضمّنها ما استطاع من أحاديث[1] ، فأشار إلى أنّه من تمام التقــوى تَرْك الشُبهــات قولاً وفعْلاً ، وذلك عمــلاً بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : (مَنْ اتّقَى الشُبُهات استبرأ لدينه وعِرْضَه) ، أضف إلى ذلك أخْذَ النفس بالتوسُّط في أحوالها دنيا ودينًا بين طرفي النقيض من تدلٍّ أو غُلوٍّ .ولمّا كان الترسُّل يخدم الإرسال[2] ، فقد أضاف إلى ما سبق طَرْحَ التكلُّف أو الإهمالِ في الأمور بتقصيرٍ أو غُلُوّ . وفي القصد لمَنْ فهم عن الله تعالى بُلغة ، والتشوُّق من حالٍ إلى حالٍ نزعة .

ولمــّا كان (التنــاصّ) يعني (التفــاعل النصــّي) بين (النــصّ الماثل) و(النصوص الغائبة) التي أسهمت في نسيجه[3] ، فإنَّ ابنُ رُشَيدٍ يأبى إلاّ أنْ يعضِّد نسيج نصّه بقول القائل :

إذا شئتَ أنْ تحيا سعيدًا فلا تكُنْ — على حالةٍ إلاّ رضيت بدونها

ومن ثَمَّ تأثّر أسلوب ابن رُشَيد بما تعالق معه من نصوص – سواءٌ أكان هذا التعالق أو هذا التدخل في نصِّه هذا أم على مدار رحلته ملْءِ العَيْبة – وهو الأمر الذي يؤكِّد على " أن (التّناصّ) يعني توالد النصّ من نصوصٍ أخرى ، وتداخل النصّ مع نصوص أخرى ، وأنَّ النصّ هو خلاصةٌ لِمَا لا يُحصى من النصوص . ومن هنا تعالق النصّ مع نصوص أخرى. وإذن فلا حدود للنصّ ، ولا حدود بين نصّ وآخر، وإنما يأخذ النصُّ من نصوصٍ أخرى ، ويعطيها في آن . وبهذا يصبح النصُّ بمثابة

---

[1] يُنظر : الرحلة في الأدب العربي ، ص 78 .

[2] يُنظر : النصُ والأسلوبيّة بين النظرية والتطبيق ، ص 162 ، والرّحلة في الأدب العربيّ ص 76 ، حيث أشار إلى أنّ جمال العبارة وجمال الأسلوب لا يتأتيان بالتكلّف ، وإنّما يتأتيان بالتلقائية والاسترسال . وحين يكون المعنى واضحًا مستقرًا في ذهن المؤلف فإنّ ترجمته إلى مفرداتٍ وجمل تُصبح سهلة ، ويُصبح التواصل بين المؤلف والقارئ متحققا .

[3] يُنظر : النصُّ الغائب " تجليات التناصّ في الشعر العربي " ، ص 91 .

بَصَلَةٍ ضخمةٍ ، لا ينتهي تقشيرها ، فالمعاني والدلالات فيه طبقات... بحسب القرّاء ، والأزمنة ، والأمكنة "[1] .

ومن ذلك أيضًا ما جاء في سياق حديث ابن رُشَيد عمَّا استحسنه من فوائد وإنشادات، ذكرها له شيخه أبو إسحاق ابن الحاج ، فقال الأخير : "أخبرنا الفقيه ... كتب إلينا مُجيزًا من طَبَس أبي المعالي فضل الله بن عبدالحميد الكوبَناني ، وكتب بعد خطِّه بالإجازة اسمَه ونسبه ما نصُّه : وقد كنت كتبت بما سمح به خاطري في قصيدٍ تذكرةً لمَن تصفح الصفحة : (من الكامل)

1 مَا بَـــالُ عَيْنِكَ لا تَجُــودُ بمائها فَعَســاهُ يُطفِــي غلّتــي بِبُكَائها

2 هَيْهاتَ أصبحَ ماؤها غورًا ، ومَا تَدْرِي المدَامِعُ غَيْرَ صَوبِ دِمائها

3 ماءً ، ولكــنْ زيْــدَ ذالٌ قَبْلَــها دمْـــعٌ ، ولكنْ ضاعَ عينُ هجائها

4 بعراصِهـا مُهَـجُ القُلُوبِ مُراقةٌ بِظَبى جفُــونٍ في جفُونِ ظبائها

5 لمَّا وقَفْـتُ بها رفَعْـتُ عقيرتي وجْــدًا ، وقدْ أنْشَدتُ في أرجائها

6 "أمَّـــا الخيـــامُ فإنَّهـــا كخيامهم وأرى نِسَــاءَ الحيِّ غيْرَ نِسائها "

وعلّق ابن رُشَيدٍ على الأبيات بقوله : وهذا من الشِّعر الرفيع والتضمين البديع[2] .

فقد أشار إلى أنَّ هذه الأبياتِ من الشعر الرفيع ، وهو ما تناولنا نظيره في المبحث السابق ، أمَّا عن (التَّناصِّ) فيها ، فقد أشار إلى أنَّه من التضمين البديع ، وقبل الحديث عن كُنْه هذا التضمين (التَّناصِّ) أشير إلى أنَّ " في تراثنا النقدي ، مصطلحات عديدة تقارب مصطلح (التّناصّ) ،

[1] النص الغائب ، ص 30 .

[2] يُنظر : ملء العَيْبَة 2 / 149 .

في الحقل البلاغي (كالتضمين ، والتلميح ، والإشارة ، والاقتباس...الخ) ، وفي الميدان النقدي (كالمناقضات، والسرقات ، والمعارضات... الخ) . وكلُّها تقترب قليلاً أو كثيـرًا من مفهوم (التَّناصّ) "[1] ، وأنَّ هذا التضمين الذي أشار إليه ابن رُشَيد " يتم بين نصين شعريين ، وتتجلى فيه القصدية تجليًا مباشرًا، فيُشار إلى النصّ الغائب ، باقتطاع جزءٍ من البيت الشعري، أو البيت بكامله ، أو أكثر من بيت . وهنا ينبغي ملاحظة مستوى وَعْي المتلقي ، فإنْ كان حضور النصُّ الغائب لهُ شهرةٌ اكتفى بإعلان عملية التداخل..."[2] .

ومن الملاحظ أنَّ (الاقتباس ، والتلميح ، والتضمين) " مثل (استدعاء) الشخصيات التراثية ، والوقائع التاريخية ، تعززُ الاتصال ، أي أنَّها إجراءاتٌ أدبيةٌ، لغويةٌ ، يعمد المتكلم إليها لتعزيز تواصلّه مع المتلقي ؛ وهو ما يدرسه (التناصُّ) حديثاً ؛ ناهيك بأنَّ (الأمثال، والحكم) والتي يمكن اعتبارا من التناصِّ الذي يعزِّز الرأي برأي من مجاله، وبالتالي يشير إلى التجذّر الثقافي المشترك ، فيَخدم الاتصال "[3] .

نأتي إلى الأبيات السابقة ، التي أشار ابنُ رشيدٍ إلى أنَّ ثَمَّةَ تضميناً بديعًا بها، فنبدأ بأول بيتٍ قائلين : إنَّ الشاعر يمكن أنْ يكون قد تأثّر فيه بقول ذي الرُمة في بائيته المشهورة :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْها الماءُ يَنْسَكِبُ كأنَّه مِنْ كُلي مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ[4]

[1] يُنظر : النصُّ الغائب " تجلياتُ التناصِّ في الشعر العربي " ص 42 ، 43 – 44 .

[2] السابق ص 44 .

[3] النصُّ والأسلوبيّة بين النظرية والتطبيق ، ص 57 .

[4] ديوان ذي الرمة ،ص 9 ، والكلي جَمْع كُليةَ ، وهي الرقعة في أصل عروة المزادة ، ومفرية : مقطوعة، وسربٌ : سائل .

بل أبادر إلى القول بأنّ قصدية التناص قد تجلّت فيه تجليًا واضحًا ، فقد اقتطع جزءًا من النصّ الغائب ، نصّ ذي الرمة ، وهو قوله : (مَا بَالُ عَيْنِكَ) ثُمّ قلب بقية البيت لصالحه ، وتوضيح ذلك أنّ ذا الرمة يتساءل عن سبب هطول الدموع من عينه كأنّها قِرَبٌ منقوبة يتسرب منها الماء ، فلقد أبصر "الطلل ، يفقد عناصر الحياة ، ورأى الدّمنة تغالبها رياحٌ نكباء ، وتغشى معارفها بسيولٍ من الرّمال ، والدار يتخوّنها ضرب السحاب ومرّ البارح الترب ،فلا يتبدى للناظر فيها إلاّ بقايا الحياة من النؤي ،والحطب ، ومواضع الوقود ، وتلوح أطلال البيوت المجتمعة، كأنّها خلل السيوف الموشاة . رأى كلّ ذلك أو تذكّره ، فسفح عبرته ، وهي أعزُّ ما يملك أمام الموت الذي يسعى لطمس معالم الحياة وعلامات الدّيار ، ديارِ ميّة التي أصبحت رمزًا للحياة "(1) . أمّا (الكوبَناني) صاحب الأبيات فقد أخذ هذا المعنى ، لكنّ قلبه لصالح فكرته التي يعبّر عنها ، وهي أنّ عينه لا تجود بمائها ، فلو جادت لكان من الممكن أنْ تُطفأ غلّته .

أمّا البيت الثاني فقد لجأ فيه الشاعر إلى ضربٍ من ضروب التناصّ في الشكل والمضمون ، وهو (الاقتباس) ، ومعناه " أن يأخذ الشاعر شعرًا من بيتٍ شعريٍّ بلفظه ومحتواه ، وهو يمثّل شكلاً تناصيًّا يرتبط فيه المدلول اللغويّ بالمفهومِ الاصطلاحي الذي يتمثّل في عملية الاستمداد التي تتيح للمبدع أنْ يُحدِث انزياحًا محدّدًا في خطابه ؛ بهدف إضفاء لونٍ من القداسة على جانبٍ من صياغته ، بتضمينه شيئًا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ، أو الشعر القديم . وهنا يجب أن تكون في الوعي عملية القصد النقليّ ، فإذا كانت الصياغة منتميةً إلى هذه الجوانب المقدسة ، فإنّ طبيعة الاستمداد يجب أنْ يتم فيها تخليص النصّ الغائب من هوامشه

(1) اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعريّ في بائية ذي الرُمة ، ص 75 .

الأصلية ؛ ليصبح جزءًا أساسيًا في البنية الحاضرة ، أي أنّه يتحرك داخل ثنائية (الحضور والغياب) على صعيدٍ واحد " (1) .

وبيان ذلك أنّه استبعد نزول الدموع التي يرجو أنْ تُطفئ غلّته ، فقد جفّت المدامع ، وأصبح ماؤها بعيدًا ، وهو المأخوذ من قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾(2) أي غائرًا ، فوصف الماء بالمصدر المُكَسّر تكسير اسم الفاعل ، كقولهم : قومٌ عَدْلٌ ، وقومٌ رِضا ، ومَقْنَع(3) ، وبذلك يكون الشاعر قد أضفى لونًا من القداسة على جانبٍ من صياغته ، بتضمينه شيئًا من القرآن الكريم ، قاصدًا نقله ، مخلّصًا إيّاه من سياقه الأصليّ ؛ لينسلك في البنية الحاضرة ؛ ومن ثَمّ تحرّك الشاعر داخل ثنائية الحضور والغياب على صعيدٍ واحدٍ ، ممّا جعل ابن رُشَيْقٍ يصفه بأنّه من التضمين البديع .

أضف إلى ذلك أنّ الشاعر بذلك يكون قد استخدم ما يسمى بالعقد لدى النُّقّاد القدماء ، فالمعروف أنّ حركة (التداخل النصي) قد تنعكس فيما "سماه النقاد القدماء (الحلّ والعقد)، فالحلّ يكون عن طريق نقل الصياغة من المستوى الشعري إلى المستوى النثري ، مع المحافظة على الإطار الدلاليّ والصياغيّ في المستويين، على أنْ يكون هناك دوافع فنيةٌ ، تستدعي هذا التحوّل ، وتعمل على المحافظة على فَنّيّة الصياغة عند حلها. وأما (العقد) فهو أن يقوم المبدع ببناء خطابه الشعريّ بالاستناد إلى خطاب آخر نثريّ ، فعملية البناء هنا هي تحويل الصياغة من المستوى

(1) النصُّ الغائب " تجليات التناصّ في الشعر العربي " ص 44 ، ويُنْظر به أيضًا ص 33 .
(2) سورة الملك ، من الآية 30 ، ويُنْظر : مفردات ألفاظ القرآن ص 618 .
(3) يُنْظر : معاني القرآن للفرّاء 3 / 172 ، والكشّاف 4 / 140 ، والتبيان في إعراب القرآن2 / 1233 ، وأمالي ابن الشجري 1 / 92 .

النثري إلى المستوى الشعـري ، عن طريق إضافة الجانب الإيقاعي فحسب "[1] ، مع ملاحظة أنَّ ابن رُشَيد يرى أنَّ التناص مع النص القرآني بالزيادة أو بالنقص لإقامة الوزن اجترام[2] .

وفيما يتصل بالبيت الرابع يمكن أنْ يُقال : إنَّ الشاعر قد يكون تداخل فيه مع قول النابغة الذُّبياني[3] :

أُسائِلُ عَن سُعدى وَقَد مَرَّ بَعدَنا   عَلى عَرَصاتِ الدّارِ سَبعٌ كَوامِلُ

أو قول امرئ الفرزدق :

أَلَستُمْ عائِجينَ بِنَا لَعَنّا   نَرى العرصاتِ أو أَثَرَ الخيامِ

أو قول امرئ القيس ، وهو ما أميل إليه :

تَرى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصاتِها   وَقيعانِها كَأَنَّهُ حَبُّ فُلفُلِ [4]

أو غيرهم من الشعراء ؛ فقد كثُر دوران العرصة في الشعر العربي ، بمعنى اعتراضِ الصبيان فيها (مُهَجُ القلُوبِ)، ففي تهذيب اللغة : " قال الأصمعيُ : كلُ جوبةٍ منفتقة ليس فيها بناءٌ فهي عَرْصَةٌ ، قلتُ : وتُجمع عَرَصات وعِراصًا ، وكلُ ما لا بناء فيه؛لاعتراص الصِّبيان . يُقال : تركتُ الصِّبيان يلعبون ويمرحون ويعترصون،وهو اصطراعهم ولَعِبهم ،

---

[1] النصُ الغائب " تجليات التناصّ في الشعر العربي " ص 44 .

[2] يُنظر : مِلْء العَيبة 2 / 117 ، حيث تعليقه على الشاعر الذي ضمّن قوله تعالى : (كَلّا إنَّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِين) الشعراء، من الآية 62 ، مغيّرًا إياه إلى :إنَّ معي ربّي سيهديني . واضف إليه تعليقه في 2 / 396 حيث موافقته على أنَّ الحديث يصحُّ في النّظم ، وذلك من خلال شعره الذي نظمه ردًّا على رغبة مَنْ كان معه أنْ ينظم ، ثمّ يذكر أنَّ الحديث لم يصح في النّظم ، على الرغم من وجوده في قول القائل :

لقدْ قالَ الرّسُولُ وقالَ حـقًّا   وخيرُ القولِ ما قالَ الرّسول
إذا الحاجاتُ أعيتْ فاطْلبُوها   إلى مَـنْ وجْهُهُ حَسَنٌ جميلُ

والجدير بالذكر هنا أنَّ لابن رُشَيد نكاتًا عروضيةً ، على مدار رحلته ، نحو 2 / 117 ، 256 ، 5 / 210 – 220 ينوء البحث بالتعرض لها ، ويستنهض ذوي الهمم استكمال ما لم نتمكن من استكماله .

[3] البيت في ديوان النابغة ، ص 87 ، وهو من بحر الطويل ، وسَبعٌ كوامل : سبع سنين .

[4] البيت في ديوان امرئ القيس ، ص 22 ، وهو من بحر الطويل .

يُقال عَرِص عَرَصًا واعترص : إذا نَشِط ولَعِب ، وعرص القوم عرصًا : لعبوا وأقبلوا يُحْضِرون،وقيل:كلُ بُقعةٍ بين الدُّور واسعة ليس فيها بناء"[1] . فالشاعر يقول : بِعِراصها مُهَجُ القلُوبِ مُراقةٌ ، وامرؤ القيس يقول : انظر بعينك تر هذه الديار التي كانت مأهولةً بأهلها مأنوسةً بهم ، خصبة الأرض كيف غادرها أهلها ، وأقفرت من بعدهم أرضها ، وسكنت رملها الظباء ؛ ومن ثَمَّ صارت مآلها للوحش ، ونثرت في ساحاتها بعرها ، فلمّا قَدُم عهده بالأنيس رأيته مصفرًا ، كأنَّه حبُّ الفُلفُل في مستوى رحباتها[2] ، وهو ما يؤكِّد على قصدية التداخل هنا أيضًا .

أمَّا عن البيت الخامس فقد يكون متداخلاً مع قول أبي تمام :

مازال للصَّائحِ المُعْلِي عقيرتَه   غَوثٌ مِنَ الغَوثِ تحتَ الحادثِ الجَلَلِ

وهو ما وجد أيضًا عند العرب قبل أبي تمام،فأُثِر عنهم ،فثعلب – على سبيل المثال – علّق على قول زهير : (من الطويل)

لِحَيٍّ حِلالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهم   إذا طَرَقَتْ إحْدَى اللَّيالي بمُعْظَمِ

بقوله : "وأصل الحِلّة الموضع الذي يُنزل به ، ثم صُيِّر الناس ، ومثل هذا كثيرٌ يُستعار ، وأصله لغيره ، كما قالوا الراوية ، وكما قالوا العقيرة ، وأصل العقيرة أنَّ رجلاً كانت رِجْله عقيرةً ، فرفعها ، ثم تغنّى ، فيقال لكلِّ مُغنٍّ : رفع عقيرته ، والراوية : البعير ، ثم قيل للمزادة راوية ، والظعينة :البعير ،ثم قيل للمرأة ظعينةٌ ،وهذا كثيرٌ "[3]. ومن خلاله يتضح لنا أنَّ أبا العباس ثعلباً قد بيّن أنَّ أصل هذا اللفظ يكمن في أنَّ رجلاً كانت

---

[1] تهذيب اللغة ، مادة (عرص) ، ويُنظر : جمهرة اللغة (رصع) ، والصّحاح (عرص) ، والمحكم (عرص) ، والمخصّص 5 / 115 باب الدور ونحوها ، وأساس البلاغة (عرص،بوح) ، ولسان العرب (عرص) والقاموس المحيط (عرص) .

[2] يُنظر : شرح ديوان رئيس الشعراء امرئ القيس ، ص 18 .

[3] شرح ثعلب على ديوان زهير، ص 27 – 28 .

رِجْله عقيرةً ، فرفعها ثم تغنّى ، فقيل لكلِّ مُغنٍّ : رفع عقيرته ، قال ابن فارس :"العقر : الجُرْحُ ،... وأمَّا قولهم : رفع عقيرته إذا تغنَّى أو قرأ ، فهذا أيضًا من باب المجاوزة ، وذلك فيما يُقال رجلٌ قُطعت إحدى رجليه ، فرفعها ووضعها على الأخرى ، وصرخ بأعلى صوته ، ثم قيل ذلك لكلِّ مَن رفع صوته ،والعقيرة هي الرِّجل المعقورة ، ولمَّا كان رَفْع الصوت منها سمِّي الصوت بها "[1] ، وتأسيسًا على ما سبق ندرك أنَّ كلمة (العقيرة) هي الجرح ، ثم انتقلت من هذه الدلالة إلى الدلالة على الصوت عن طريق المجاورة [2] .

أمَّا عن البيت الأخير ، فأرى أنَّه متداخلٌ نصيًّا مع قول جرير :

عَرَفْتُ الدارَ بَعدَ بِلى الخِيامِ سُقيتِ نِجاءَ مُرتَجِزٍ رُكامِ

وعلى الأخص في الشطر الأول ، فكلٌّ منهما تعرَّف على خيام أحبابه بعد مرور الزمن وتقلُّب الأيام .

هذا، ولا أريد أنْ أبرح المكان دون الإشارة إلى أنَّه إنْ كان يُقال عن التناص في النقائض : إنَّ " إسهام الشاعر الأول في قصيدة الشاعر الثاني هو أكبر من إسهام الشاعر الثاني فيها. صحيح أنَّ الشاعر الثاني فتق المعاني ، وفرَّعها ، وجاء يصور شعرية جديدة . ولكنه دومًا ينظر إلى معاني الشاعر الأول ، وإلى صوره ، ووزنه الشعريّ ، وقوافيه. ممَّا يجعلنا نقول إن إسهام الشاعر الأول في قصيدة الشاعر الثاني هو أكبر من إسهام الشاعر الثاني في قصيدته"[3] ، فإنَّ هذا الأمر لا ينطبق على بقية الشعر ، فلو قلنا بذلك – على سبيل المثال – في الأبيات التي علَّق عليها ابنُ رُشَيد هنا لألغينا شخصية الشاعر،والأمر على خلاف ذلك ، فالشاعر ،

---

[1] المقاييس ، مادة (عقر) 4 / 91 – 92 .
[2] يُنظر : منهج ثعلب في شرح ديوان زهير ، ص 263 – 264 .
[3] النصُّ الغائب " تجليات التناصّ في الشعر العربي " ص 91 .

وإنْ بدا احتكاكه بغيره واضحًا ، فقد استطاع أنْ يجذب القارئ المتلقي ليشاركه تشكيل المعنى ،وهذه المشاركة ليست هي الاستهلاك ، وإنما هي اندماج القراءة ،والتأليف في عملية دلالية واحدة ، بحيث تكون ممارسة القراءة إسهامًا في التأليف ، ممّا يمكننا من القول بأنَّ النَّص على هذه الشاكلة فعالية كتابيةٌ ، ينضوي تحتها كلٌّ من المؤلف الباث، والقارئ المتلقي ،وبنتيجة التواصل ،والمشاركة اللذين بينهما يكون (النص) جزءًا من – كلام مموضع– في منظور كلامي معين[1] .

ولمَّا كان ذلك كذلك ، فإنَّه تجدر الإشارة هنا إلى أنَّه "إذا كانت (البنيوية)تركِّز على ثنائية الكتابة/ القراءة ، وترى أنَّ النصّ يقرأ القارئ ، وأن الكاتب الفعلي للنصّ هو القارئ، فإنَّ (التناصّ) يحاول فكَّ اشتباك النصوص عن بعضها بعضًا ؛ ليعيد لكلٍّ صاحب حقٍّ حقّه من السابقين والمعاصرين الذين تتردّد أصواتهم في جنبات النصّ المبدع ، وتُشاهد بصماتهم في صوره وتراكيبه "[2] ،وهو ما حاولت الصفحات السابقة – في إيجازٍ – لَفْت الأنظار إليه في رحلة ابن رُشَيد (مِلْء العَيبة)، كمُنْطَلَقٍ من منطلقات التعرُّف على حركة اللغة وفاعليتها والوعي بهذه الحركة من جانب ابن رُشَيدٍ في التعبير عن رِحلته .

الخاتمة

هكذا نأتي إلى خاتمة البحث في حَرَكَةِ اللُّغَةِ في رِحْلَةِ مِلْءِ العَيْبَةِ بِمَا جُمِعَ بطُولِ الغَيْبَةِ لابنِ رُشَيدِ الفِهْرِيِّ السَّبْتِيِّ ، بعد تأمُّل المطبوع من رحلته ، والذي كانت غايته الأساسية بيان حركة اللغة وفاعليتها في هذه الرِّحلة ، ومدى الوعي بهذه الحركة من جانب ابن رُشَيدٍ في التعبير عن

---

[1] النصُّ والأسلوبيَّة بين النظرية والتطبيق ، ص 17 .
[2] النصُّ الغائب " تجليات التناصّ في الشعر العربي " ص 33 .

رِحلته ، والكشف عن الطاقات التعبيرية للدوال اللغوية ، من خلال ما اختير من منطلقات ، فيمكن الإشارة إلى صعوبة القيام بصياغة اختزالية لمجموع نتائج البحوث التطبيقية ، ومنها هذا البحث ، وعلى الرغم من ذلك يمكن – بجانب ما ورد في ثنايا البحث – الإشارة إلى الأمور التالية:

– تبيّن أنّ ابن رُشيد قد استطاع نَقد ما رآه ، فلم يكتفِ بمجرد المشاهدة والوصف ، بل تعدى ذلك إلى التفسير والنقد ، فجاءت رحلته بمثابة سِجلٍّ وافٍ في مختلف ميادين الثقافة ، وهو ما اتضح من خلال أسلوبه ، ومن خلال تعقيباته على كثيرٍ من النصوص ؛ وهو ما يدلُّ على أنّ ثمّة وعيًا لغويًّا لديه بحركة اللغة في أسلوبه ، وكذلك فيما تناوله من نصوص .

– ترتّب على ذلك أنّه استخدم كلَّ ما لديه من وسائل ، من شأنها تحقيق التواصل بين هذا الأثر المتمثل في نصّ الرحلة وبين المتلقي ، فاتسمت تراكيبه وتعليقاته بإعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب ، ولجأ إلى الحذف في بعض التراكيب النحوية ، والنصّ عليه حينًا آخر ، ولجأ إلى استخدام الإحلال في التراكيب النحوية ؛ ومن ثَمّ السَّعي إلى تحقيق البلاغة في أسلوبه ، والإشارة إلى ذلك في بعض نصوص الآخرين ممّن تضمّنهم حديثه ، وكذلك لجأ إلى إعادة الترتيب ، فقدّم وأخّر ما أراد ؛ اعتمادًا على وعْي المتلقي ، واستخدم الفصل في التراكيب النحوية ، وأشار إلى الترخُّص في العلامة الإعرابية .

– هذا ، ولم يهمل ابن رُشيد دور التشكيل الصرفيّ في النظام اللغويّ، ومن ثَمّ علاقته بالمعنى واتّضاح النص لدى المتلقي ، فكان يشير إلى الوزن الصرفي لبعض الكلمات ، سعيًا منه إلى تفسيرها وعدم التباسها بغيرها ، وكذلك أشار إلى تصغير بعض الكلمات ونسبتها ، سواءٌ أكان

ذلك في أسلوبه خلال حديثه أم في تعليقاته على النصوص ، وغير ذلك من القضايا الصرفية التي لم نتمكن من بحثها لضيق الوقت ، على نحو ما أشير إليه بهوامش البحث .

– ولمّا كان للمعجم والدلالة دورٌ في النظام اللغويّ أيضًا ، فإنّ ابن رُشيدٍ أظهر حركة اللغة في رحلته من خلال هذا الجانب – كغيره من الجوانب ، فدرس الكلمات المفردة والتراكيب والنصوص اللغوية ؛ للكشف الصحيح عن معانيها والمقصود منها ، وما يتّصل بذلك من قضايا ومشكلاتٍ ذات صلة بالمعنى . ففيما يتصلُ بالأمور المعجمية فسّر المعنى المعجميّ للكلمات بأكثرَ من وسيلةٍ من وسائل تفسير المعنى المعجميّ المعروفة في الدرس اللُّغويّ قديمًا وحديثًا ، نحو التفسير بالترجمة ، والتفسير بالنَّظير ، والتفسير بالسياق ، بقسميه ، السياق اللُّغويّ وسياق الحال أو المقام ، من خلال ذكْرِه مناسبات بعض القصائد أو الأبيات . ولم يكتفِ بذلك بل تعرّض لِمَا يهدف إليه المعجم وما يقوم به من واجباتٍ ، فعرض لطريقة نُطْق بعض الكلمات ، ممّا أسهم في عدم التباسها بغيرها أو نُطْقها نطقًا غير صحيح .

– وفيما يتّصل بالمعنى الدلاليّ تبيّن أن ابن رُشَيد لجأ إلى تحرير المعنى أو تخليصه من الغموض والإبهام ، سواءٌ أكان ذلك بشَرْح المعنى الإجماليّ وتخليصه من الغموض أم بتحرير بعض المفردات ، وذلك ببيان ما تحمله من ملامحَ ومكوناتٍ دلاليةٍ ، وهو ما يُعرف في الدِّراسات اللُّغوية الحديثة بنظرية التحليل التكوينيّ . وفي هذا الإطار أيضًا ، إطارِ الاهتمام بقضايا المعجم والدلالة تبيّن أنّه على وعْي بالتغيُّر الدلالي ، ولا سيّما انتقال الدلالة ، وذلك فيما يتصل بلفظ (الشاذرْوان) فأشار إلى أنّها

لفظةٌ أعجميةٌ ، معناها الزريبة ، استُعيرَت لهذا المفترش البنياني الضيق القصير الارتفاع ، الذي أحاط بالبيت العتيق ، وهي استعارةٌ بعيدةٌ – في رأيه – ومَن يقول الزريبة هي الوسادة تكون الاستعارة أقرب ، وهو ممّا أيّدته فيه ، على الرّغم من إمكانيةِ القول بالاستعارة المُشار إليها أولاً ، بالنّظر إلى جامع الإحاطة في كلٍّ من الزريبة والشاذروان حول البيت الحرام . هذا ، وقد عرض ابنُ رُشَيدٍ في هذا الإطار أيضًا للاشتقاق ، باعتباره توليدًا لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى أصلٍ واحدٍ ، يحدِّد مادتها ، فكان ممّا شاع في الرحلة ، في هذا الصدد استخدام أسلوب الربْط الاشتقاقي ، وهو ما ترتب عليه الإسهام في جلاء أسلوب ابن رُشَيد وإيضاح ما أُريدِ إيضاحُه في النصوص المتناولة ؛ ومن ثم تحقُّق التواصل بين الأثر والمتلقي .

- تبيّن أنّ كلاًّ من السَّبْكِ والحَبْكِ من أمارات التماسك النَّصيّ لدى ابن رُشَيد ، فالسَّبْك يختصُّ بالوسائل التي يتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص ، ونعني بظاهر النَّص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزَّمنيّ ، والتي نخطُّها أو نراها بما هي كمٌّ متَّصلٌ على صفحة الورق . وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النَّحويّة ، ولكنّها لا تشكّل نصًّا إلا إذا تحقق لها من وسائل السَّبْك ما يجعل النَّص محتفظًا بكينونته واستمراريته ، أمَّا معيار الحَبْك (التماسك النَّصيّ) فيختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النَّص ، ونعني بها الاستمرارية الدلالية ،التي تتجلى في منظومة المفاهيم الرَّابطة بين هذه المفاهيم . وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجًا وإبداعًا أو تلقيا واستيعابًا ، وبها يتم حبك المفاهيم من خلال

قيام العلاقات (أو إضفائها عليها إنْ لم تكن واضحةً مستقلةً) على نحوٍ يستدعي فيه بعضها بعضًا ، ويتعلّق بواسطته بعضها ببعض . ولمّا كان ذلك كذلك فقد تلمّست بعضًا من أمارات السَّبك والحبك والإحالة على أغلبها ، سواءٌ أكان ذلك في أسلوب ابن رُشَيد أم في النصوص التي ضمّنها رحلته ، بناءً على إشارته إلى ذلك ، والتي اتّضح من خلالها تجسيد ابن رُشَيد لوعيه اللغويّ بوسائل السَّبْكِ والحَبْكِ ، كغيره من القدماء العرب والمحدثين أيضًا .

- ولمَّا كانَ الأسلوب يتأثر فيه الكاتب بغيره فقد تبيّن أنَّ ثَمّة تفاعلاً وتداخُلاً بين نصِّ ابن رُشَيدٍ والنصوص الأخرى ، بالإضافة إلى ما أفصح عنه من تداخلٍ في غير نصوصه ؛ فكان التناصُّ – باعتباره من أمارات بيان حركة اللغة ودورها في الأسلوب ، وكونه مرتبةً من مراتب التأويل- مع القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربيّ ، وغير ذلك؛ ومن ثَمّ كان لهذا التداخل أثره في دلالة الكتابة التي احتضنته أو في دلالة النصِّ المُحْتَضِنِ ؛ ولذلك أمكن القول : بأنَّ (النصّ) هو مجرد نشاط، وأن وضع (المؤلف) فيه مجرد وضع احتكاك ؛ وأنَّ (النص) مفتوح ، وأنَّ القارئ المتلقي ينتجه في عملية مشاركة ، وهذه المشاركة ليست هي الاستهلاك ، وإنَّما هيَ اندماج القراءة ، والتأليف في عمليةٍ دلاليةٍ واحدةٍ ، بحيث تكون ممارسة القراءة إسهاماً في التأليف ، وعلى هذه الشاكلة يكون (النص) فعاليةً كتابيةً ، ينضوي تحتها كلٌّ من المؤلف الباث، والقارئ المتلقي ، وبنتيجة التواصل والمشاركة اللذين بينهما يكون (النص)جزءًا من – كلام مموضع- في منظور كلامي معين ؛ ومن ثَمّ يصبح النصّ بمثابة بَصْلَةٍ

ضخمة ، لا ينتهي تقشيرها ، فالمعاني والدلالات فيه طبقات ، بحسب القرّاء ، والأزمنة ، والأمكنة .

– ولمّا كان كلُّ ما سبق مسلوكًا في جملٍ وتراكيب ، فإنّه تجدر الإشارة إلى إيثار ابن رُشَيدٍ التعبير بالجملة الاسمية في بعض المواضع ، ممّا يتصف بالاستقرار والثبات ، وإيثاره التعبير بالجملة الفعلية في مواضع أخر ، ممّا يتصف بالتجدُّد والحـركة – مع غلبة التعبير بالجملة الفعلية لديه ، فالحيوية من صفات الجملة التي يستخدمها الرّحال ، بحيث يستشعر القارئ الحركة المتتالية خلالها ؛ ولذلك يُلاحظ أنّ الأفعال الدالة على الحركة لا تكاد تخلو منها جملةٌ من الجمل ، وهذا يعود إلى طبيعة الرّحلة المعتمدة على الحركة ؛ ومن ثمّ فإنّ نقْل هذه الحركة من أرض الواقع إلى حيث دفتا كتاب من الأمر الضروريّ لدى الرّحال ، في إطار ما من شأنه الإفصاحُ عن حركة اللغة وملامح فاعليتها في كتب الرحلات .

– هذا ، وإنْ كان لي من توصيات ، فإنّني أشير إلى أنّ كتب الرحلات تمثّل ثروةً لغويةً لا يُستهان بها ، اتّخذها أصحابها سبيلاً لبثّ خبراتهم اللغوية ، فما أشدّ حاجة دارس اللغة إلى الاهتمام بهذه الكتابات ، فعلى سبيل المثال يمكن أنْ تكون مجالاً لبَحْث ما يلي :

أ – خصائص التراكيب والدلالة .

ب – وسائل استطالة الجملة في كتب الرحلات .

جـ – ملامح السَّبْك والحَبْك أو التماسك النَّصِّيّ في كتب الرحلات .

د – التناص في كتب الرحلات ودوره في التجلّي النَّصِّيّ .

هـ – الاختيار والعدول في أبنية المفردات .

و – الوعي البلاغيّ والعروضيّ .

ز – الاستعمالات العامية والحضارية " دراسةٌ تأثيلية " ؛ ومن ثَمّ وضعُ معجمٍ لرحلة ابن رُشَيدٍ بعنوان المعجم المغربيّ أو المعجم اللُّغويّ في رحلة

ابن رُشَيد ؛ ومن ثَمّ المقارنة بين هذا المعجم والقاموس المغربي في رحلة ابن بطوطة ، للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازيّ ، وهو البحث المنشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وفي النهاية أقولُ : إنّ هذا البحث بحثٌ استرشاديٌّ ، انطلق من عدة منطلقات – مُحدّدةٍ بوقتٍ مُعين – فيها وفي غيرها ممّا لم يُشَر إليه أو لم يُبْحث ما يمكن أنْ يكون بمثابة علاماتٍ إرشاديةٍ لسائرٍ على الطريق ، لديه من الطموح والوقت والقدرة ما يمكّنه من سَدّ النُّقص ، وتقويم المعوجّ في هذه الدّراسة ، والسير قُدُمًا نحو محاولة سَبْر أغوار أسرار اللغة وفاعليتها والوعي بحركتها لدى القدماء ، ومن بينهم مؤلّفو كتب الرحلات .

وبعدُ ، فهذه محاولةٌ أخذت منّي وقتًا وجهدًا ، فما كان فيها من توفيقٍ فمن الله وحــدَه ، وما كان فيها غيــر ذلك فمــن نفسي ، وحسبي أنّي اجتهدت ، والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر والمراجع العربية :

- القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .
- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر - ت 911 هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1987 م .
- أدب الرحلات ، للدكتور حسين محمد فهيم ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يونيو 1989 م .
- أزهار الرياض في أخبار عياض ، للمقري " أحمد بن محمد المقري التلمساني ت 1041 هـ "، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبدالحفيظ شلبي ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ، 1940 م .
- أساس البلاغة ، للزمخشري " أبو القاسم محمود بن عمر ، ت 538 هـ " ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1923 م.
- إستراتيجية المكان ، للدكتور مصطفى الضبع ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1998 م .
- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، للدكتور محمد كريم الكواز، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا ، الطبعة الأولى ، 1986 م .
- الأسلوب وعلم الأسلوب ، للدكتور موريس أبو ناصر ، الثقافة العربية ، السنة الثانية ، العدد التاسع ، سبتمبر 1975 م.
- الأسلوبية والأسلوب ،للدكتور عبدالسلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، الطبعة الثالثة ، 1982 م .

- إشباع حركة الأبنية في الشعر وموقف النحاة منه ، للدكتور محمد حماسة عبداللطيف ،مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،الجزء الأربعون ، 1397 هـ - 1977 م .
- أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن واللغة العربية ، للدكتور محمد حسن جبل ، البربري للطباعة ، الغربية ، مصر ، 1999م
- الأصول ، للدكتور تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1982 م .
- أصول النظرية التوليدية التحويلية في النحو العربي ، للدكتور محمد بو عمامة ، رسالة ماجستير بآداب عين شمس1989 م .
- أصول تراثية في علم اللغة ، للدكتور كريم حسام الدين ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1985 .
- الأصول في النحو، ابن السراج "أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ت 316هـ" ، تحقيق د. عبدالحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1988 م .
- أمالي ابن الشجري ، ابن الشجري (أبو السعادات هبة الله الحسني العلوي- ت 542 هـ)، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1992 م .
- الإيضاح في علل النحو ، للزجاجي ت 337هـ ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، 1406هـ - 1986 م .
- بحثٌ في عِلم الإشتقاق ، عبدالله أفنديِ أمين ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء الأول ، رجب 1353 هـ - 1934 م .

- بحوث ومقالات في اللغة ، للدكتور رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1982 م .
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ، للدكتور جميل عبدالمجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1998 م.
- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ت 794 هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار التراث ، القاهرة ، د . ت .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العصرية ، 1384 هـ - 1964 م .
- بناء الجملة العربية ، للدكتور محمد حماسة عبداللطيف ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1990 .
- البيان في روائع القرآن ، للدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993 .
- البيـان والتبيين ، للجاحـظ " أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت 255 هـ"،تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1975 م.
- التبيان في إعراب القرآن ، للعكبري ، ت 616 هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الشام للتراث ، بيروت ، لبنان ، 1976.
- التحديات الداخلية التي تواجه اللغة العربية في العصر الحاضر ، للدكتور جعفر عباينة ، الموسم الثقافي الحادي والعشرون ، مجمع اللغة العربية ، الأردن ، 2003 م .
- تحصيل عين الذهب ، بهامش كتاب سيبويه ، للشنتمري ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1967 م .

- تحليل اللفظ وتقويم المعنى وأثرهما في التراث النحوي ، للدكتور عبدالسلام السيد حامد ،رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، 1997 م .
- تحليل النص السردي ، معارج ابن عربي نموذجًا ، سعيد الوكيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1998 م .
- التراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه ، للدكتور محمود ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985 م .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك (محمد بن عبدالله الأندلسي) ، تحقيق محمد كامل بركات ، القاهرة ، 1967 م .
- تشومسكى والثورة اللغوية ، جون سيرل ، مقال مترجم في مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، طرابلس ، ليبيا ، العددان 8 ، 9 ، 1979 م .
- التضمين العروضيّ في الطويل وبناء شعر الأعشى" دراسةٌ نصّيّةٌ في ضوء العلاقات النحوية الرأسية والأفقية "، للدكتور فايز صبحي عبدالسلام تركي ، مجلة الثقافة والتنمية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، العدد السابع ، يوليو 2003 .
- التطبيق الصرفي ، للدكتور عبده الراجحي ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1993 م .
- التطور اللغوي ، للدكتور رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1987 م .
- تفسير الطبري ، لِمحمد بن جرير بن يزيد الطَّبريّ ت 310 هـ ، دار الفكر ، بيروت ، 1405 هـ .

- تقابلات الحداثة في شعر السبعينيات ، للدكتور محمد عبدالمطلب، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1995 م .
- تهذيب اللغة ، للأزهري " أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي- ت 370 هـ " ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وآخرين ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، د . ت .
- الجملة الاعتراضية في التركيب النحوي "مواضعها وأحكامها ، للدكتور مدحت السيد زيادة ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر، العدد الخامس عشر ، 1997 م .
- الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية ، علي الجارم ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد السابع ، 1953 م .
- الجملة في الشعر العربي ،للدكتور محمد حماسة ، مكتبة الخانجى، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1990م .
- جمهرة اللغة ، لابن دُريد " أبو بكر محمد بن الحسن الأزديّ البصري ، ت 321 هـ " ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ت .
- الخصائص، ابن جنى "أبو الفتح عثمان بن جنى ت392هـ" ، تحقيق الأستاذ محمد على النجار،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1986-1988 م .
- دراسات في فقه اللغة ، للدكتور صبحي الصالح ، بيروت ، 1971 م .
- دراسة المعنى عند الأصوليين ، للدكتور طاهر سليمان حموده ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، د.ت .

- دلائل الإعجاز ، للجرجاني ، تحقيق د . محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1995 م .
- دلائل الإعجاز،عبدالقاهر الجرجانيّ ،تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1992 .
- دلالة الألفاظ ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1980 م .
- دور الشعراء في تطور النقد الأدبي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور محمد أبو الفضل بدران ، القاهرة ، 1992 .
- دور الكلمة في اللغة ، أولمان ، ترجمة د . كمال بشر ،مكتبة الشباب ،القاهرة ، 1988 م .
- ديوان الأعشى ، الأعشى "ميمون بن قيس" ، تحقيق د. محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية ،1968 م .
- ديوان الحطيئة ، باعتناء حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 2005 م .
- ديوان النابغة الذبياني ، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1426 هـ - 2005 م .
- ديوان امرئ القيس ،اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ،1425 هـ- 2004 م .
- ديوان ذي الرمة ، تقديم وتعليق سيف الدين الكاتب ، وأحمد عصام الكاتب ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

- ربط الجملة الفرعية بالضمير أو بالواو ودوره في تماسك النّص، دراسة في كافوريات المتنبي ، للدكتور فايز صبحي عبدالسلام تركي ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب ، القاهرة ، العدد الأول(41) 2008 م .

- الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين ، دراسة تحليلية مقارنة ، عواطف محمد يوسف نواب ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996 م .

- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرّابع الهجريّ ، للدكتور ، ناصر عبدالرازق الموافي ، دار النشر للجامعات المصرية ، مكتبة الوفاء ، المنصورة ، مصر،الطبعة الأولى ،1415هـ - 1995 م .

- ابن رُشَيد الفهريّ ورحلته إلى المشرق ، بقلم محمد الفاسي ، مجلة معهد المخطوطات العربيةّ ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ، ذو القعدة 1378 هـ - مايو 1959 م .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي " أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ت 1270هـ "، ضبط وتصحيح علي عبدالباري عطية ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1405 هـ - 1985 م.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل "بهاء الدين عبدالله بن عقيل- ت 769هـ" ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث، القاهرة، ، الطبعة العشرون ، د . ت .

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، للأشموني " نور الدين أبو الحسن على بن محمد " ت 929 هـ ، تحقيق د . عبدالحميد السيد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، د . ت .

- شرح المفصل ، ابن يعيش "موفق بن على بن يعيش ت643 "، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، 1990م .

- شرح ديوان امرئ القيس ، لأبي بكر عاصم بن أيوب ، المطبعة الخيرية ، الجمالية ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1307 هـ .

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ثعلب " أبو العباس أحمد بن يحيى "، تحقيق أحمد زكي العدوي ، طبعة دار الكتب ،القاهرة ، 1944 .

- شرح شافية ابن الحاجب ، الرضيّ (رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت 686 هـ) ،تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

- شرح شافية ابن الحاجب ، للرضيّ الاستراباذي ت 686 هـ ، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي ت 1093 هـ ، حققهما ، الأساتذة محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1395 - 1975 م .

- الشكل والدلالة ،للدكتور عبدالسلام حامد ، دار غريب ، القاهرة ، 2002 م .

- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، مكتبة دار العروبة ، د. ت .

- الصِّحاح " تاج اللغة وصِحاح العربية " ، للجوهريّ " إسماعيل بن حمّاد ، ت 393 هـ"، تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1407 هـ - 1987 م .

- ضرائر الشعر، ابن عصفور أبو الحسن على بن مؤمن الشهير بابن عصفور، ت669هـ ، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت ، لبنان، د . ت .

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي الحديث ، للدكتور طاهر سليمان حموده ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 1982 .

- الظواهر الدلالية في كتاب عمدة الحُفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ، للدكتور عثمان محمد أحمد ، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية ، بالمنصورة ، 1992 .

- العربية لغة العلوم والتقنية ، للدكتور عبدالصبور شاهين ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1410 هـ - 1989 م .

- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، محمد حماسة عبد اللطيف ، نشر جامعة الكويت ، 1983.

- علم الدلالة ، للدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1991 م .

- علم الدلالة إطارٌ جديدٌ ، بالمر ، ترجمة د . صبري السيد ، دار المعرفة الجامعية 1992 م .

- علم الدلالة العربي ، للدكتور فايز الداية ، دار الفكر، دمشق، 1405 هـ -1985 م .

- علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ،للدكتور هويدي شعبان هويدي، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1993 .

- علم اللغة ، للدكتور علي عبدالواحد وافي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ، 1972 .

- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2000 م .

- علم اللغة بين القديم والحديث ، للدكتور عاطف مدكور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1986 م .

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، للدكتور محمود السعران ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 م .

- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175 هـ ، تحقيق د . مهدي المخزومي ، د.إبراهيم السامرائي ،دار الرشيد ، العراق ،1980م .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني " أبو الفضل شهاب الدين العسقلاني المصري ، ت 852 هـ " ، راجعه قُصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1986 م.

- فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، 1997 م .

- فقه اللغة ، للدكتور محمد المبارك ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1964 م .

- فلسفة الضمير ، علي النجدي ناصف ، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء العشرون ، القاهرة ، 1966 م .

- في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجانى في اللغة والبلاغة ، للدكتور عبدالقادر المهيرى ، حوليات الجامعة التونسية، العدد 11 ، 1974 م .

- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1303 هـ .

- القاموس المغربيّ في رحلة ابن بطوطة ، للأستاذ الدكتور عبدالهادي التازيّ ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد السابع والثمانون " القسم الأول " ، المحرم 1421 هـ - مايو 2000 م .

- قصيدة كعب بن سعد الغنويّ "دراسة وسائل سَبْك وحَبْك النص "، للدكتور أشرف عبدالبديع عبدالكريم ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، العدد الثاني (42) ، 2008 م .

- القضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، للدكتور فايز صبحي عبدالسلام تركي ، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، 2003 م .

- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين ، للدكتور محمود ياقوت ، دار المعارف مصر، 1985 م .

- كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر" ، العسكري "أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ت395هـ" ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ، 1989 .

- الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون ، سيبويه "أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر- ت180هـ" ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.

- الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزمخشري " أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، ت538 هـ " دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1354هـ .

- الكلمة " دراسة لغوية معجمية " ، للدكتور حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، 1993 م .

- لَحْن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، للدكتور عبدالعزيز مطر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1386 هـ - 1966 م .

- لسان العرب ، لابن منظور" أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن منظور ، ت 711 هـ " ، طبعة جديدة محققة ومنقحة ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .

- اللغة ، فندريس ، ترجمة الدواخلي والقصاص ، طبعة مصر ، 1950 م .

- لغة الشعر "دراسة في الضرورة الشعرية"، للدكتور محمد حماسة عبداللطيف ، دار الشروق، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1996 م .

- اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة1973 م .

- اللغة العربية والحداثة ، للدكتور تمام حسان ، مجلة فصول ، المجلد الرابع، العدد الثالث1984 م .

- اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعريّ في بائية ذي الرُّمة ، للدكتور صالح بن سعيد الزهراني ، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1423 هـ - 2002 م .

- اللغة وبناء الشعر ، للدكتور محمد حماسة عبداللطيف ، المكتب الفني للتجهيزات والطباعة ،القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1992 م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى ، تحقيق على النجدي ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1994م .
- المُحْكم والمحيط الأعظم ، لابن سِيدَه " أبو الحسن علي بن إسماعيل – ت 458 هـ " ، طبعة الحلبي ، القاهرة ، 1958 م .
- المُخصّص ، لابن سِيـدَه " أبو الحسن علي بن إسماعيل ، ت 458 هـ "، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1319 هـ .
- مرجع الضمير في القرآن الكريم ، للدكتور محمد حسنين صبره ، دار الهاني للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1992 م .
- مرجع الضمير وأثره في اختلاف القراءات القرآنية ، للدكتور خالد محيى الدين مدني ، مجلة كلية اللغة العربية ، بإيتاى البارود ، جامعة الأزهر، 1420هـ–2000 م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ت 911 هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزميليه ، الحلبي ، القاهرة ، 1958 م.
- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات والنثر والشعر، للدكتور محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1981 م .
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، للدكتور محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1966 م .

- معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث ، للدكتور محمود ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994 م .
- معالم الدرس الدلاليّ في شرح الأنباري للمفضليات ، للدكتور عبدالكريم محمد حسن جبل ،رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة طنطا ، 1991 م .
- معاني القرآن ، للفراء "أبو زكريا يحيى بن زياد ، ت207هـ " ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخر،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 1980 م .
- معاني القرآن للنحاس ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، مركز إحياء التراث الإسـلامي ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، 1410 هـ – 1989 م .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام "جمال الدين بن هشام الأنصارى- ت 761هـ" ، تحقيق د. مازن المبارك ، الطبعة السادسة ، دار الفكر، بيروت، لبنان1985 .
- المغنى في أبواب العدل والتوحيد ، للقاضى عبدالجبار ، تحقيق أمين الخولى ، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1960 م .
- مفردات ألفاظ القرآن ، للرَّاغب الأصفهاني ت 425 هـ ، تحقيق الدكتور صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، 142 هـ – 2002 م .
- مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس ت 395 هـ) ،الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1366 هـ – 1369 هـ .

- المقتضب، المبرد "أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت 285هـ، تحقيق محمد عبدالخالق عُضَيمة ، عالم الكتب، بيروت، د . ت .

- ملء العَيْبَةِ بما جُمِعَ بطُول الغَيْبة في الوجْهة الوجيهة إلى الحرمين مكّة وطيبة ، لأبي عبدالله محمد بن عمر بن رُشيد الفهريّ السّبتي ت 721 هـ ، تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، ج 2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1402 هـ –1982 م ؛ الجزء الخامس ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان ،الطبعة الأولى ،1408 هـ – 1988 م .

- من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم " تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النَّص " ، ضمن كتاب دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، للدكتور سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، د.ت .

- من الأنماط التحويلية في النحو العربي ، للدكتور محمد حماسة عبداللطيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1990 م .

- من قضايا اللغة : وجوب تحليل البناء اللغويّ من خلال مسرح الحدث الذي دار عليه ، للدكتور البدراوي زهران ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الخمسون ، نوفمبر 1982 م .

- من وظائف الصوت اللغوي"محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي"، للدكتور أحمد كشك ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1997 .

- مناهج البحث في اللغة ، للدكتور تمام حسان ، الدار البيضاء، المغرب1979 م.

- منهج ثعلب في شرح ديوان زهير بن أبي سلمى – دراسة لغوية، للدكتور فايز صبحي تركي ، رسالة ماجستير بآداب طنطا ، مصر ، 1995 م .

- منهج في التطور اللغوي التاريخي ، للدكتور عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت .

- موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، ضمن كتاب(قراءة جديدة لتراثنا النقدي) ، للدكتور تمام حسان ، المجلد الآخر، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، العدد 59 ، 1990 م .

- نحو أجرومية للنص الشعري " دراسة في قصيدة جاهلية " ، للدكتور سعد مصلوح، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو /أغسطس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1991 م .

- النحو العربي والدرس الحديث ، للدكتور عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1979 م .

- النحو بين عبدالقاهر وتشومسكى ، للدكتور محمد عبد المطلب ، مجلة فصول ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ديسمبر1984 م .

- النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، للدكتور محمد حماسة عبداللطيف ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1983 م .

- نسيج النص "بحث فيما يكون الملفوظ به نصاً"، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى ، 1993 م .

- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند ، ترجمة الدكتور تمام حسان ،عالم الكتب ،القاهرة، الطبعة الأولى ، 1988 م .

- النصُّ الغائب " تجليات التناصِّ في الشعر العربي " ، محمد عزام، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2001 ، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت " 5 / 12 / 2008 م .

- النَصُّ والأسْلوُبيَّة بين النظرية والتطبيق ، عدنان بن ذريل ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2000 ، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت " 20 / 11 / 2008 م .

- نظرية اللغة في النقد العربي ، للدكتور عبدالحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 م .

- نظرية تشومسكى اللغوية ، جون ليونز ، ترجمة وتعليق د . حلمى خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1995 م .

- همع الهوامع ، للسيوطي " جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، ت 911 هـ " ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1998 م .

- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ت 764 هـ ، تحقيق واعتناء أحمد الأرناووط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 2000 م .

- وظائف الاعتراض وأساليبه ، د . حواس بري ، مجلة مجمع اللغة العربية ، طرابلس ، ليبيا ، العدد السادس ، 2008 م .

- <u>ثانيًا – المراجع الأجنبية :</u>

-Bach , Emmon :

An introduction to transformational grammars , U.S.A.1964 .

-Chomsky, Noam :

Syntactic structures, ninth Printing, Mouton, 1972.

- Crystal , David :

-Linguistics , penguin Book , 1982 .

-Hallidy M.A.K and Ruqaiya Hasan :

Cohesion in English, Longman, London, 1976.

-Lyons , John :

Semantics, Cambridge university ,Cambridge London .

-R.H.Robbins :

General Linguistics ,An introductory survey , first edition , 1964 .